

يَقْلُمُ كَاتِبٌ مُسَلِّمٌ كَبِيرٌ

لَهُمُ الْكَافَّةُ

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا
النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ
اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَفَعَلُوا مَا يَأْمُرُونَ ﴿٥١﴾ "قرآن كريم"

ملتزمة طبعه ونشره

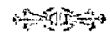
مكتبة الهلال - بالقجالة بمصر

اهداء الكتاب
لـ
كل مسلم ومسلمة

ذات خمسة فصول



الأول والخامس في جهنم ، الثاني والرابع في السكينة المطهرة
الثالث في دار الندوة



مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

نهدي إلى كل قارئ مسلم ومسلمة كتاباً وضعناه لم نقصر فيه عما استطعنا من النصيح للأمة والحرص على إرشادها إلى الحق وهدايتها إلى سبيل المنفعة فيما تبغيه وتسمو إليه من مراقب الدنيا وأمور الدين .

نهدي هذا الكتاب إلى كل قارئ مسلم ومسلمة لا نرجو منهما أجراً عليه ولا جزاء له إلا إحسان العناية به وإجادة النظر فيه والإستبصار فيما يشتمل عليه من موعظة وحكمة ومن نصيحة وهدى .

ولسنا ندعى أننا قد باغنا من كل ذلك أقصاه أو وصلنا منه إلى غايته وإنما نعلن أنه غاية ما نستطيع أن نصـل إليه على أن مادته الدين الصحيح والعلم النافع توخيهاهما بدقة وامعان .

وإن كنا قد ألبسناه ثوب الخيال فإنا لم نغال في ذلك ولم نبالغ فيه وإنما قصدنا إلى الحقيقة المرة ذات المنظر المؤلم فأسبغنا عليها من الخيال ما يسبغ مذاقها ويذهب بشيء من بشاعة منظرها .

ولعمري إن الانسان لخليق أن يقابل الحق وجهاً لوجه لا يزهد فيه ولا يتبرم به ولكن ذلك إن لم يكن مستحيلاً فهو بعيد .

ولن يصيب الكاتب الذي يعرف من طبيعة الناس حب الهين وبغض الشاق والنفرة من الدواء إذا كان غضاً .

إن يصيب الكاتب إذا صدم الجمهور بحقيقة جافية المنظر غريبة الخلق لأنه إن فعل لم يزد على أن يبغض الجمهور فيه وينفرهم منه ويصرفهم عن حقه إلى باطاهم وعن رشده إلى غوايتهم ويعرض نفسه لسهام من اللوم صائبة ونصال من الذم جارحة وقالة بين الناس يشيع شرها الآن ويحفظ نكرها في مستقبل الدهر ومستأنف الأيام !!

لذلك عمد المصالحون في عهد الهنود القدماء إلى الرسائل والأقاصيص الخيالية يفعمونها بالموعة ويملاؤنها بالعبرة يضعون رأيهم الاجتماعي والديني أو الفلسفي الهادم للعادات السيئة والآراء الفاسدة في قالب من الخيال عذب رائع فيتناولوه الجمهور بالإبتهاج والإعجاب ولا يكاد يعكف عليه وينظر فيه حتى تظهر آثاره النافعة وتنتأجه الحسنة .

ولقد كنا نود أن نكون المبتدعين لهذا الخيال المخترعين لنظامه المستبدين بحسنه وروائه ولكننا لم نستطع ذلك ولن نستطيعه إلا بعد جد وعناء .

ولنما الخيال اختراع فيلسوف حكيم وكاتب طائر الصيت هو الفيلسوف الروسي « تولستوى » .

فقد وضع لبيان ما عرض على الدين المسيحي من تغيير واختلاف كتاباً سماه « مملكة جهنم » وزعم أن قصته جرت على الشياطين فأحببنا أن نصنع ذلك لبيان ما عرض للدين الإسلامي في نفوس العامة من فساد وتبدد وسمينا كتابنا « المملكة المعمورة » .

على أن بين طريقتنا وطريقة الفيلسوف فرقاً من وجهين :

الأول — انه وضع كتابه ليبرهن على فساد الدين المسيحي في نفوس الناس وكتب العلماء وأن ما وضعته الكنيسة من الطقوس والنظامات إنما هو من عمل الشيطان لا من وحى الله تعالى .

أما نحن فلم نقصد إلا إلى بيان أن ما في نفوس العامة من شكل الدين بعيد كل البعد عن حقيقته الظاهرة وطبيعته الطاهرة التي لا تزال واضحة جليلة في القرآن الكريم والسنة المطهرة وما يتبعهما من كتب العلم ومقالات الأئمة .

فنحن لا نميل إلى أن الدين الإسلامي قد عرض له من الفساد العلني في الكتب والمقالات شيء يخاف منه وإنما كل همنا اصلاح شكله النفسي .

الثانى - ان الفيلسوف سلك فى كتابه مسلكاً دليلاً صرفاً فنبذ المادة وآثارها ودم العلم الحديث ونتائجه فلم يرض علم النجوم ومراصده ولا الطبيعة والكيمياء ومعاملهما ولا المطبعة والمطبوعات وما اتصل بذلك بل أراد أن يجعل العالم فى هذه الأيام كما كان فى عهد المسيح صلوات الله عليه .

ولسنا نلوم الفيلسوف فى ذلك ولا نعتذر عنه لأن هذا المقام لا يسمح بشيء من هذا وإنما نقول إننا لم نسلك هذا المسلك ولم ننح هذا النحو لأننا نعتقد أن الدين والدنيا كليهما لا ينفع أحدهما بدون الآخر .

فليست الدنيا إلا مادة تسيورها قوة إذا لم تنظم اندفعت بها فى غير طريق وليس لهذه القوة نظام إلا الدين .

وعلى كل حال لم نر أمة عاشت ملحدة فنحكم باستقلال الدنيا عن الدين كما أن من المستحيل أن تعيش أمة متدينة قد انقطعت الأسباب بينها وبين الدنيا إلا إذا كانت مساكنها فى السماء .

لذلك الممنا فى كتابنا بطرفى الإصلاح الدينى والديوى ورجاؤنا أن يتقبله الله تعالى قبولاً حسناً وأن يصل به القراء إلى ما ينفع ويفيد والسلام ؟

المؤلف

الفصل الأول

[جهنم مانته ، وقد وقف عليها جماعة من الوافدين وقد أخذ
جماعة منهم قباح الوجوه يسكنون الناس ويلقونهم فيها وهؤلاء
يهيمون ويستغيثون وعلى مقربة منها مجلس الشياطين وقد جلس
في صدره رئيسهم إبليس بوجه كالح وهو مبتسم ابتسامة سيئة وحوله
أعدائه وأتباعه بأشكال مختلفة جداً إلا أنها في الجملة قبيحة من
كل وجه . . .]

* * *

الزبانية : [من الداخل]

مرحباً بالضيف يأتي مرحباً أضرموا النار وأذكوا اللهب
واقذفوا الأضياف فيها حطباً فقرا الضيف هنا هذا السعير

* * *

من عصى الله ولم يسمع لما أمر الله استحق النقا
وغدا في النار يلقي حرباً عانيا ما بين حر وزفير

سكان جهنم : [من الداخل يستغيثون]

ربنا هل لنا مطمع في سواك
أولنا كلنا نفحة من رضاك

* * *

قد أطعنا الغرور وأضعنا الصواب
وغرسنا الشرور فجئنا العذاب
ولبثنا الدهور في أشد العقاب
فاغتفر جهلنا لم يخب من رجاك

الشياطين : [من الخارج]

نحن جند الشر أنصار الفساد وحماة الغي أعداء الرشاد
همنا في الأرض إضلال العباد عن سبيل الله والنهج القويم

كم أنجحونا آية الحق المبين وخفضنا راية العدل المسكين
وتركنا الناس من شر العناد في خصام ونزاع مستديم

* *

كم صرفنا الناس عن دين صحيح ودعوناهم إلى دين قبيح
فاستجابوا بولاء ووداد واستلذوا الإثم والفحش العظيم

* *

قد بسطنا ظلنا فانبسطا وفرطنا عقدهم فانفرطا
فليعش ملك الشياطين الشداد ولتعش معمورة دار الجحيم

* *

: [يجلس على كرسى عال وأمامه أعوانه وأتباعه]

ابليس

نعم أيها الأعوان ، هذه هي المملكة المعمورة التي تلتهم إليها سبل الحياة
فهي أشبه شيء بالبحر المحيط يمتص جميع أنهار الدنيا !

نعم هذه هي ، المملكة المعمورة التي يظهر زخرفها لأعيننا وأعين
المفتونين بأحاديثنا وأكاذيبنا الباطلة وما هي في الحقيقة إلا سجن أليم يجمع
التعاسة والشقاء لأولئك المنكوبين البائسين من أبناء الإنسان .

إنى لتأخذنى عليهم الشفقة والرحمة ، ولما كنى لا أستطيع أن أستجيب
لهاتين العاطفتين ، بل أعتقد أن من الواجب علينا أن نعمل لما خلقنا له
فنغوى من استطعنا إغواءه من عباد الله حتى يسيروا طائعين أو كارهين
إلى جوارنا ، حيث يلقون منا أحسن ما يقرى به الأضياف من عذاب
شديد وحظ منكود ، ثم نحن نخيل إليهم بعد ذلك أنهم إنما يعملون في هذه
الحياة عن روية واختيار .

مساكين أبناء هذا النوع ، فانهم يلقون في حياتهم أشد البؤس ، وأقبح
العنت ، ثم لا يحنون من صبرهم واحتمالهم إلا عناء وبلاء .

لقد علم بارئهم الذى فطرهم ومنّ عليهم بنعمة الحياة أنهم ليسوا أشد
منا قوة ولا أصعب مراساً فلماذا سلطنا عليهم ، وحكنا فيهم ، وجعلناهم نهياً
مقسماً لأطمانا السيئة ونفوسنا الباغية . . ؟

يقولون : إن مصدر هذا حكمة مطلقة ، ولست أدري ما هي الحكمة . . ؟
ولكنى ملزم بتنفيذها فأنا فى عملى هذا مطيع لله ، لا خارج عليه فاسمعوا
لى وأطيعوا أيها الأعوان المخلصون ، وليض كل منكم لوجهه ، وليتم كل منكم عمله .
افسدوا بين الأفراد والأمم !

اقطعوا الأسباب والوسائل بين الرجل وزوجه !

اغرسوا البغضاء والشحناء بين الأصدقاء !

حببوا إلى كل انسان ما فى يد غيره !

انزعوا من قلوبهم فضيلة الرحمة واحموا من نفوسهم أثر العدل !

ثم اغمروا الأرض ببحر خضمّ من الدماء دماء الأبرياء !

ثم مروا هؤلاء الزبانية فليفتحوا أبواب جهنم وليستقبلوا أولئك
الوافدين عليها !

ضعوا فى نفوس الملوك حب الظلم ، وبغضوا إليهم كل مصلح . . !

واعلموا أن فى هذه الأرض عدوين متحاربين هما الخير والشر . . !

واعلموا أنكم أنتم أنصار الشر وأن الزمان معين لكم منفذ لأغراضكم وأن

أولئك النفر الذين يفلتون من أيديكم إلى نعيم الآخرة بعد أن يذوقوا أنواع

الشقاء فى الحياة الدنيا هم أعداؤكم المصلحون ، وهم الذين لم تخلقوا إلا لإشهار

الحرب عليهم فى كل حين وليس يرجى منكم أكثر من إرغامهم على ما تطلبون .

واعلموا ان الله قد فطر هذا العالم وبسط قوته عليه فلم يشذ من ذلك إلا

مملكة الشياطين التى أنتم زعماءها فقامكم لذلك هو مقام المناظرين لله !!

فاحتفظوا بهذه المنزلة الرفيعة واعلموا أن الله قد أنظركم إلى يوم البعث

وهو لا يعاقبكم فى هذه الحياة فانهزوا هذه الفرصة وخذوا لأنفسكم حظها

من هذا السلام !

اضرخوا بين الملوك وبين الشعوب بسور متين من الظلم والعسف واعلموا

أن نجاحكم في ذلك رهين بأن تشعروا نفوس الملوك أنهم آلهة الأرض وتشعروا نفوس الشعوب أنهم مسخرون لإرادة هؤلاء الآلهة بأمر من إله السماء !
احتفظوا كل الاحتفاظ بتلك القنايل التي تسمى آلهة !
حببوا إلى الملوك والرعية تعظيمها وتبجيلها وليتخذ كل منكم مثالا من هذه المثل فليستكنهم وليكلم الناس بلسانه إذا دعت الحاجة إلى ذلك !
وجملة القول إنه يجب عليكم أن تنصروا الشر في هذه الحياة وأن تغلبوه على الخير فانكم لم تخلقوا إلا لذلك !

[يتقدم إليه كبير من كبار الشياطين ذو أنياب
بشعة قد طالت أظافره وهي مغعورة بالدماء . . .]

الشیطان : أجل يا مولاي الرئيس إنا قد سمعنا نصائحك ووعينا وصاياك وليست هذه أول مرة دعوتنا فيها إلى ما يجب أن نفعله فان لك في كل مائة عام موقفاً مثل هذا تذكرنا فيه بالواجب وتبين لنا فيه ما نحن ملزمون به في هذه الحياة وإنا لسعداء بأن لا يأتي قرن أو بعض قرن حتى تظهر نتائج أعمالنا باهرة فاتنة فانك تعلم أن جهادنا في هذه الدنيا ليس بريئاً من المعاندين المكابرين من أولئك الأنبياء الذين هم رسل الرحمة إلى الناس ولولا هؤلاء النفر ما احتجنا إلا إلى شيء واحد وهو أن تؤسس مملكة ثانية كهذه [يشير إلى جهنم] لتسع أفواج الضالين المضلين .

فان نبياً منهم وهو موسى ما زال ينازعنا وننازعه ويتناهنأنا ونناهنأهنا حتى انتشل من بين أيدينا شعب اسرائيل وأنقذهم من حكمنا وعذابنا أجيالا من الدهر .

ولولا مهارتنا في تحريف الشرائع وتبديلها ما استطعنا أن نرجع هذا الشعب إلى حكمنا ولست في حاجة إلى أن أذكر مع السرور والابتهاج نجاحنا الباهر في صد هذا النبي عن شعب مصر ذلك الشعب الذي خدعته أوهاطنا وأباطيلنا فلم يسمع لهذا النبي ولم يلتفت إليه بل تبعه فرعون وجنوده إلى حيث تلقتهم أنصارنا فمروا بهم مسرعين إلى هذه المملكة المعمورة وهم الآن يقاسون أنواع العذاب وصروفه . ؟

كذلك يامولاي تعاقبت على شعب اسرائيل طائفة من الانبياء لم
يكونوا أقدر منا على قلوب الناس ، بل كانت الحرب سجالاً بيننا وبينهم
وكانت النتيجة دائماً أننا نحن الفائزون .

ولسكن شيئاً واحداً يزعجني ويوقع الرعب في قلبي حتى كاد يصرفني
عما أنا بازائه من العمل وهو وإن كان بعيداً إلا أن من الواجب أن تتخذ
له الحيلة قبل وقوعه !

الشياطين : [جميعاً بصوت واحد مزعج] ما هو . ؟
ابليس : وذلك النبي العربي الذي سيظهر في بادية الحجاز بعد حين من الدهر (١)
[ثم يوجه كلامه إلى كبير الشياطين] أليس كذلك ؟
الشیطان : بلى هو ذاك فما أعلمك بالغيوب وأحاديث القلوب !
ابليس : ولسكن ما الذي تخافه من هذا النبي العربي ؟
الشیطان : أخاف شيئاً كثيراً جداً يا مولاي . إنك تعلم ان الشعب العربي هو من
أشد الشعوب لنا إخلاصاً وولاءاً ، وإن فقدنا إياه خسارة كبرى لا يمكن
أن تعوض .

أضف إلى ذلك أن أنبياء بني اسرائيل قد قرروا أن هذا النبي هو آخر
الرسول إلى أهل الأرض ، ولا بد من أن تؤيده قوة كبرى من ذلك الإله
القدير تضمن بقاء شريعته واستمرار دينه إلى آخر عهد الناس بهذه الدنيا .

(١) هو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف بن قصي بن كلاب بن مرة
ابن كعب بن لؤي بن غالب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة بن خزيمة بن مدركة بن الياس
ابن مضر بن نزار بن معد بن عدنان .

ولد بمكة يوم الاثنين في شهر ربيع الاول وكانت وفاته على رأس ثلاث وستين سنة ودفن ليلة
الاربعاء في وسط الليل وكان الناس يصلون عليه ولم يؤمهم أحد أوحى إليه بمكة وهو ابن أربعين
سنة فأقام بها بعد الوحي ثلاث عشرة حجة ثم أمره الله بالهجرة إلى المدينة فهاجر إليها وأقام بها
إلى أن توفي وجعل عمر بن الخطاب يوم الهجرة مبدأ للتاريخ الاسلامي فهو أعظم الحوادث
أثراً في تاريخ الاسلام وأجلها خطراً ولم لا ؟ وقد مكنت هذه الهجرة رسول الله صلى الله عليه
وعلم من أن يجهز بدعوته جهراً كاملاً وأن يدوي صوت الاسلام بعدها دويًا عظيمًا في الشرق والغرب .

ومن المدهشات يا مولاي أن بشائر هذا النبي قد أخذت تظهر متواترة في بلاد العرب ، فبدأت تلك الأمة الوحشية السفاكة تثوب إلى السكينة والأمن ، وبدأ الناس يشعرون بميلهم إلى أن يكونوا أمة واحدة ، وأنه يجب عليهم أن يجتمعوا من كل صوب من العام إلى العام لتتحد أعضائهم وقلوبهم ، وذلك كما تعلم يا مولاي نذير سيء بقرب النازلة .

نعم إن النفور والبغض والعداء يزدادان من وقت إلى آخر بين هاتين المملكتين الكبيرتين مملكة الفرس والروم ، ولكني لا أرى ذلك أيضاً إلا نذيراً سيئاً لآخر عهد هؤلاء الملوك المطيعين لنا ، وأن هذه الشعوب ستحرر من ظلمنا يوماً ما ، وأن هذا اليوم فيما أظن لقريب .

فأشر علينا ماذا نعمل وكيف نتقي هذا الخطر الداهم الذي يندرننا بسوء العاقبة . . ؟

ابليس : ما كنت أظن أنك جبان إلى هذا الحد [الشياطين يضحكون]
فإن تلك الحيلة التي غلبتنا على هؤلاء الأنبياء ستغلبنا على هذا النبي وهل تظن أن قوة هذا النبي معها عظمت ستكون أكثر من هؤلاء الأنبياء الذين غلبناهم . . ؟

هوّن عليك فأنا الدنيا ملك لنا نعمل فيها ما نشاء ، فإن جهنم قد أخذت تعلن احتياجها إلى الناس .

فليذهب كل منكم إلى عمله ، ولكن اجتهدوا في أن تفسدوا تلك القلوب التي أخذت تصلح في بلاد العرب ، وفي أن تحكوا تلك القروح التي أخذت تندمل حتى تعود دامية كعهدنا ، وحتى تثور الحروب المنكرة .

فإن الأرض فيما أظن في ظمأ إلى السماء ، كما أن جهنم في حاجة إلى الوقود .

الشياطين : [جميعاً نعم نعم] [ثم يلشدون بصوت منكر] :

فهيأ انهمضوا للأذى واستقبلوا المنكرات
لستم بشيء إذا لم تلتشروا السيئات

لا تتركوا طائعاً لله أو عاصياً
حتى يرى نازعاً عن ربه قاصياً
عبداً لكم خاشعاً في حبيكم فانياً
أغروا بهذا وذا جنداً من المهلكات

لا تتركوا مسرحاً قفراً ولا أهلاً
إلا إذا أصبحوا بجمعكم حافلاً
فيه تدور الرحي بشرككم عاجلاً
لا تتركوا منفذاً للناس في الصالحات

اذكروا أوار الحروب واستوقدوا نارها
واستنطقوا للقلوب في اللهب أوتارها
قللم سلاهي ضروب ان تلقى أنصارها
كونوا لها كالغذا تستبج المخزيات

[هنا يتفرقون جميعاً ويبقى ابليس وحده وهو يطوف بجهم ...]
ابليس : [يطوف بجهم] لله أنت أيتها المملكة المعمورة لا تشيع ما أحبك إلى
الآن وأبغضك إلى نفسي غداً .
نعم أنت حبيبة إلى الآن لأنك تقبلين على الرحب والسعة من أبعث
بهم إليك من الوفود فتعيلني بذلك على تنفيذ خطتي ،
ومع أن لي الفضل في بنائك وتأسيسك فأني أبغضك أشد البغض ،
ستصيرين بعد حين مأوى لي ومستقراً .

والئن كانت ضحايا غوايتي يلقون فيك الآن أنواع العذاب فأن ما أذخرته
لي من هذا العذاب أشد وأنكى ١١

نعم أنى أطوف بك الآن طواف الحجاج للكعبة أقدسك وأعظمك
ولكننى سألقى منك نكرا .

إن هول تلك الساعة التى تظفرين بي فيها ليخلع قلبي ويذهب برشدى
على أنى أعانى عذاباً آخر ملازماً لى لا ينهك عنى طريقة عين ،

أعانى عذاب الندم ١١

أعانى وخز الضمير ١١

أعانى آلام النفس السيئة ١١

وكيف لا أندم وقد كفرت النعمة وجحدت الصنيع فأصبحت حرباً
على من خلقتنى وان كانت غوايتي لا تضره وطاعتي لا تنفعه ،

وهبنى نعمة الوجود فخرجت عليه ومنحني فضيلة الحياة فلم أعرفها له .

فهل أنا بعد ذلك إلا دنى خسيس . . ؟

انى لأعانى من هذه الخواطر آلاماً شديدة ولكننى صبور عليها فقد كتبتها
عن أعوانى وأنصارى وبينت لهم أننا فى نعيم دائم لا يزول وأن السعادة والهناء
مضمونان لنا .

هل من سبيل إلى عقد الصلح بينى وبين هذا الملك الكبير الذى حاربتة
ولا قبل لى به . . ؟

هيات . هيات . . ١١

قد سبقت الكلمة ونفذ القضاء وأصبحت مطروداً من رحمته بعيداً عن نعمته .
فلتنفذ مشيئته وليكن ما يريد ولا تم ما يجب على أن أتمه من معصية الله
وعناده فأنى لا أخشى العذاب فى تأدية الواجب ،

ولو أن أبناء الإنسان اقتدوا بى فى هذه الفضيلة فضيلة الحرص على
الواجب واحتمال الآلام فى سبيله لأمنوا شرى ولتمت لهم السعادة .

وبلاه . . لنى لا أستطيع أن أجيل ذكر هذا الإله فى قلبي وأنه ليرانى على
هذا الحال السيئة ويسمع نجواى ثم هو مع ذلك لا يرحمنى .

فهل تعد هذه قسوة وظلماً ؟ ..
كلا . كلا . إنما هو العدل يجب أن يأخذ نصيبه الكامل من النفوذ
والاحترام !!!
إيه أيها الإله القادر إني قد عصيتك فأمطر عليّ لعناتك من كل صوب
فإني لها أهل وبها خليق .

[يتمشى ويقرب من أحد أبواب جهنم فيتلقاه الزبانية
باللعن، ويهجمون عليه بمقارعههم، ولكنها لا تناله ..]
كبير الزبانية : اخساً أيها الشيطان الرجيم ، فإني لانتظر لك تلك الساعة التي أملكك فيها
وأصعب عليك من أنواع العذاب ما لا طاقة لك به .

إبليس : نعم وإني لانتظر هذه الساعة أيضاً ، ولكني لا أناها من غير ثمن ، فسأقدم
إليك كثيراً جداً من تلك الضحايا التي تضحي لإرضاء لمطامعي وغوايتي ، فلا
تتعجل هذه الساعة يا صاح فإنها قريبة .

إنك عدو لدودي ، ولكني أحبك وأشكرك وأثنى عليك ، لأنك
تستوصي خيراً بوفودي الذين أبعث بهم إليك .

كبير الزبانية : بكرهي والله أن ينال أبناء آدم هذا العناء الذي لم يجنه لهم إلا أنت ، ولئن
ظفرت بك لانتقم من لهم منك ،

إبليس : حبذا لو استطعت أن تنجيهم من هذا العذاب ،

كبير الزبانية : اخساً أيها اللعين فعشاً تحاول أن تغويني كما أغويت ضعاف القلوب من أبناء
الإنسان .

وهل أنا إلا منفذ للعدل وممض لإرادة ربّي ؟ !!

[هنا تسمع ضجة من داخل جهنم ، ويرى الساكنون فيها وهم صائحون
يتقدمون إلى الباب وهم يقولون . .] دعونا نخرج فقد تبنا وأنبنا . .

[يكر عليهم الزبانية فيضربونهم بالمقارع . سكان جهنم وقد تقطعت جلودهم]

لا حاجة لنا بالخروج كفوا عنامقارحكم وخلوا بيننا وبين هذا الشيطان
اللعين الذي أغوانا وأضلنا لنتقدم منه .

إبليس

: وهل جنيت عليكم ذنباً ؟ ولماذا أطعتموني واستعجتم لي . . ؟

[ثم يقهقه قهقهة مزعجة، وهنا تسمع ضجة شديدة من البعد، وأصوات الشياطين وهم يشدون، وصرير الأسنان، وأصوات الصائحين، ويعلو لهيب جهنم، ويسمع منها صوت الابتهاج والسرور. وهنا يدخل الشياطين فيطوفون بالرئيس وهم يشدون ضاحكين، وخلفهم جمهور من الناس بين مقطوع اليدين ومطعون في صدره، وهمشم الأنف وكلهم صائحون]

الشياطين

: [يشدون] :

إيه يادار الجحيم استقبلي ذلك الوفد بأجى محفل
وأكلى إن كنت لما تأكلى من جسم عودت لمس الحرير

عودوا من قبل لذات الحياه فأذيقهم أفانين الأذاه
وأقيمهم بشـر النزل بين حر وشهيق وزفير

قد بلغنا ما نرجى وفريد فأبلغى فيهم من البؤس المازيد
واشكرى فعل الرئيس البطل مبدل النعمى ببؤس وسعير

القـوم : ربنا عفوك ومغفرتك فما أضلنا إلا الشياطين .

[يتقدم اليهم الزبانية فيسوقونهم بالمقارع ويصيحون فيهم . . .]
ألم يأتكم نذير ؟

القـوم : بلى قد جاءنا نذير فكذبنا وكنا من أصحاب السعير .

[الزبانية يزجونهم في جهنم، ويسمع منها صوت مزعج]
إلى إلى هل من مزيد . . ؟

إبليس

[لأعوانه] : شكراً لكم أيها الأعوان، فلا بد من أن أقسم بينكم مكافأتكم على هذه الأعمال الجليلة، ولكن ما هذه الوفود . . ؟

[يتقدم إليه الشيطان ذو الأنياب والأظافر المخضوبة بالدماء . . .]
هذه يا مولاي الرئيس ضحايا الحروب التي أشهرتها بين الفرس والروم وبين قبائل العرب .

نعم من أجل عشرين ناقة رهانا بين متسابقين من العرب أشهرت الحرب بينهما أربعين سنة ومن أجل ناقة واحدة رماها زعيم تغلب وهو كليب ، ثارت الحرب بينهم وبين أبناء عمهم بنى بكر بن وائل أربعين سنة .

ومن أجل أن أخا النعمان بن المنذر ملك الحيرة رمى ناقة لرجل من تميم فقتلها ، فقام هذا التميمي وقتله ، حلف النعمان ليحرقن من بنى تميم مائة رجل بالنار ، فقد حرقوا بالنار في الدنيا ، وهم الآن يحرقون في هذه النار الخالدة ، هذا قليل من ضحايا العرب وحدهم .

أما ضحايا الفرس والروم فلا أستطيع أن أحصيها ، وإنما أقول إن شعبين كبيرين يهلك أحدهما الآخر ارضاء لمطامع رجلين قد جلسا على عرشهما وزعم كل منهما أنه إله أو خليفة إله .

ابليس : [يصفر صفيراً مزعجاً ، ويثب وثبة منكرة ، ويصفق ، يديه ويقهقه حتى يكاد يستلقي على ظهره . . .] إنك لما كرت محتال ، وإن هذه لمهارة تشكر عليها .
أحد الشياطين : وهذه ضحايا السرقة يا مولاي !

آخر : وهذه ضحايا الزنا !

آخر : وهذه ضحايا الأوثان !

آخر : وهذه ضحايا الكذب !

ابليس [مقاطعاً] : كفوا الآن !

[ثم تحدث ضجة ، فيطوفون يا بليس ويلشدون بصوت مزعج . .] :

يا شياطين الفساد جردوا سيف الخداع
واشغلوا كل فؤاد عن هدى الله المطاع

✽ ✽

واغلقوا باب النعيم وافتحوا باب الجحيم
وأذيعوا في البلاد كل تضليل يذاع

✽ ✽

واشعلوا نار العداة لهداة الأنبياء
واملأوا قلوب العباد طمس شر نزاع

فصل الثانی

[السكبة المطهرة وقد نصبت عليها الأصنام وبينها صنم كبير جداً هو هبل ، وقد وقف رجل في زى عربى متوسط السن ووقف إلى جانبه شيطان حسن الهيئة ، وقد وضع الشيطان قدمه على أذن الرجل . والرجل متغافل عنه لأنه يفكر فى أمر خطير ثم يتمشى الرجل ذهاباً وإياباً والشيطان ملازم له لا يرفع قدمه عن أذنه]

الرجل : نعم . نعم . لا بد من ذلك .

[يتمشى] هذا حسن لا شك فيه .

[يتمشى] وأين كنت بالأمس . . ؟

[يتمشى] ومالى لم أقتل هذا الرجل . . ؟

لها الخائنة ماكرة ، ولكن ربما كان لها بعض العذر فسأعاتها .

[يتمشى] لا بد من تنفيذ هذه الخطة !

[الشيطان يعتمد عنه قليلاً]

الشيطان : لله درك ، لقد أحسنت الاستماع [ثم يخرج مسرعاً]

الرجل : [يقف فجأة وقد ظهرت عليه آثار الغضب]

خانتنى تلك الفاجرة بالأمس ، وستأتى الآن فتزعم أنها لى حبيبة صادقة ، فلا بد من قتلها .

نعم لا بد من قتلها ، ولا بد من أن أقدم دمها الدنس ونفسمها الخبيثة قربانا لهبل . أين تلك العمود والمواثيق التى قدمتها إلى وزعمت أنها لا تخونها يوماً ما . . ؟ أمن أجل أعرانى حقير يسكن الوبر ويشرب دماء الإبل وأبوالها ويأكل الحشرات والخنأفس تنصرف عني . . ؟ لا بد من قتلها وهن قتلته .

نعم إنى سأدنس هذا المكان الحرام بذلك الدم الخبيث ، وسأقترب إثماً لم أسبق إليه ، فقد عصمت الآلهة نفوس الناس وحققنت دماهم فى هذا البلد

إكراماً لهذه الكعبة المقدسة ، ولكنى سأخالف أمر الآلهة . سأقتل نفساً معصومة ، وأهدر دماً حراماً فى الكعبة نفسها وأمام الآلهة العظام . أقبلى أيتها الخائنة الماكرة .

أقبلى فإن سيفى أظماً ما يكون إلى دمك وإن كان قلبى أظماً ما يكون إلى ريقك العذب .

أقبلى فسيهانقك الموت الآن ، وإنى لأحسده على هذا العناق ، وأود لو سبقتته إليك .

أقبلى فستكونين جثة هامدة ، وسيشهد الآلهة عذابك الأليم ، وسيصبون على رأسك بعد الموت عذاباً أشد وسخطاً أقبح .

تريدين كيما تجمعينى وخالدآ ؟ وهل يجمع السيفان ويحك فى غمد [ثم يبكى] آه ويح هذه النفس البائسة إنها لتحدثنى بالفتك والانتقام وإنها لتحذرني من عاقبتهم ، فماذا أصنع . . ؟
ألا إني إن قتلتها فقد قضيت على نفسى بالشقاء الدائم ، وإن أبقيتها فقد خضعت للعار وسوء القال .

[هنا ترى فتاة عربية وقد أقبلت تخطر ، ومرت فلم تلتفت إلى الرجل حتى انتهت إلى أكبر الآلهة ، فتقبله ، وترفع يديها ضارعة داعية ، ثم تعود إلى الرجل .]

المرأة : عم صباحاً أيها الحبيب ،

الرجل : عمى صباحاً أيتها الحبيبة ، أظنك تأخرت .

المرأة : لم أتأخر إلا قليلاً ، ولقد تعرف سبب ذلك :

الرجل [بفتور] : لا أعرفه

المرأة [ضاحكة] : كيف لا تعرف أن على إرصاداً وعيوناً يترصدون بي الدوائر ويتوقعون لى الفضيحة ، وإنى أجد فى سبيل لقائك من العناء والمشقة ما لا يقوى أمثالى على احتماله

الرجل [ضاحكاً] : إن كان هذا حقاً فقد أعذرت ، ولكن ..

المرأة : إنك مستقص على حديثاً ربما كنت به عالمة ، فأرح نفسك منه ، ولا تحوجني

إلى الدفاع عن نفسي ، فاني لا أعرف حباً كحبك تعيث به الشكوك والأوهام
من حين إلى حين .

الرجل : أ كذب ذلك الحديث ؟

المرأة : من غير شك .

الرجل : ومن أين علمت إذا لم يكن حقاً . . ؟

المرأة : . إنى لا أقول إنه كذب من جميع الوجوه ، بل أقول : لك مخطيء فيما استنتجته
منه فقد كنت بالأمس مع خالد عند الصفا ، وقد تناجينا طويلاً ، ولكن من
أين لك أن هذه النجوى كانت غرامية ؟

الرجل : وما شأن خالد معك إذا لم يكن هناك غرام . . ؟

المرأة [مبتسمة] : شأنه معي معروف ، فإنه ابن عمي ، وهو يتعشق أختي بنية ، ويدينه
وبين أبي وأخى ملاحاة ومجافاة شديدة ، ولا يجسر أحد منا أن يكلمه ولا يرق
له أحد غيري ، فأنا أرحمه وأعطف عليه .

وقد كنت بالأمس أنصح له أن يخرج من مكة سنة كاملة وإلا يظهر
أمره في شعره ، حتى لا يتحدث الناس بما بينه وبين أختي ، وقد ضمننت له إن
فعل ذلك أن يعود فيقترب بها .

الرجل : قد يكون هذا حقاً ، وإن خالداً لسيء الحال ، ولكن ألسنت أولى منه بهذه
الرحمة ؟

ألم تعلمي أنى لم أذق السكرى في ليلتي هذه ،

ألم يكن من اليسير أن تهينني بعض تلك الساعة كالتى وهبتها خالداً ؟

المرأة : لا . لم يكن ذلك من اليسير ، فأنت تعلم انى لو استطعت أن أنفق معك جميع
أوقاتي لفعلت ، وما كدت أفرغ من حديث خالد حتى علمت أن ميعاد
شوراك قد انتهى وأن كلا منكم سيرجع الى بيته وفيكم أنى ، فلم يكن لى بد
من العودة وقد عرفت أن هذه الشكوك ستخامر قلبك ، فلم أستطع أن أتأخر
عنك اليوم ، وأردت أن نجدد عهد الحب والولاء بين يدي الآلهة العظام
فهيأ بنا . .

[تأخذ بيده فيسير معها ثملاً يتمايل نشوة وطرباً ، ثم يسجد لهبل ، وتقف هي

فتقبل هبل وتتضرع إليه ، ثم يقوم الرجل من سجدته فيصافحها . .]

الرجل : ليشهد هبل ولتشهد اللات والعزى أنى مخلص لك وصادق فى حبك

المرأة : ليشهد هبل ولتشهد اللات والعزى أنى مخلص لك وصادقة فى حبك .

[ثم يطوفان بالكعبة ويتضرعان]

المرأة : إذا فدعنى أرجع الآن أيها الحبيب ، فإن القوم سيتوافدون على الكعبة

للعباداة وموعدك العشية فى الصفا .

الرجل : ليمكن موعدنا العشية هنا .

المرأة : ليمكن ما تريد [ثم تخرج] .

الرجل : [وحده] .

وددت وما تغنى الودادة أنى

بما فى ضمير الحاجبية عالم

فإن كان خيراً سرنى وعلمته

وإن كان شراً لم تلنى اللوائم

وما ذكرتك النفس إلا تفرقت

فريقين منها عاذر لى ولائم

فريق أبى أن يقبل الضيم عنوة

وآخر منها قابل الضيم راغم

الآن استراحت نفسى ، واطمأن ، قلبى وعرفت أنها بريئة ، وأنى كنت

مخطئاً فى اتهامها وإنى أحمد الله على أن يدى لم تسبقنى إلى السيف .

[وهنا يتوافد القوم للعبادة وكل من دخل منهم يحببه]

القوم : عم صباحا .

الرجل : عموا صباحاً أيها السادة .

[يتقدم الجميع إلى الآلهة فيسجدون سجدة طويلة يقبل الشياطين ، فى أثناءها

ويتخذون ناحية ، ثم يقوم إبليس فيسعى مختلفياً حتى يقف خلف هبل . يرفع

القوم رموسهم من السجود ، وإذا بهبل يتحرك ويخرج من فيه دخان ، ويسمع

منه صوت قبيح ولكنه غير فصيح . ثم يتبين الصوت قليلاً . . . قليلاً . . .]

هبل : أى عبادى المخلصين ،

يا معشر قريش وصميم العرب ،
ويا سكان البطحاء وولاية الكعبة ،
وقادة الشعوب ومطوفى الحجيج ،

وسادة الدين ورءوس القبائل وأصحاب السقاية والعمارة . (١)

(١) [بيوتات قريش] : هاشم وأميه ونوفل وعبد الدار وأسد وتيم ومخزوم وعدى وجمع
ومهم . وأما الامور التى كانت من خصائص هؤلاء فهمى السقاية والعمارة والعقاب والرفادة والحجابة
والسدانة والندوة والمشورة والاشناق والقبه والاعنة والسفارة والايثار والاموال المحجرة .
فأما السقاية أى سقاية الحجاج فكانت فى بنى هاشم وأما العمارة وهى منع من يتكلم فى بيت الله
بكلام سفیه قبيح أو يرفع فيه صوته وكانت فى بنى هاشم الذين منهم العباس وأما العقاب فهمى راية
قريش يحفظونها فى بيت من البيوت العشرة فاذا وقعت حرب أخرجوها فأن انفقوا على أحد منهم
أعطوه رأيه العقاب وكانت من خصائص بنى أميه الذين منهم أبو سفيان وأما الرفادة وكانوا يجمعون
من أنفسهم أموالا لرفد المنقطعين من الحجاج وكانت فى بنى نوفل الذين منهم الحارث بن عامر
صاحبها وأما السدانة والحجابة فمعاها خدمة بيت الله وحفظ مفتاحه وكانت فى بنى عبد الدار الذين
منهم عثمان بن طلحة صاحبها وأما الندوة (دار الندوة) فكانت فى بنى عبد الدار وأما المشورة وهى
رئاسة الشورى فهمى فى بنى أسد وكان يتولاها منهم يزيد بن زمعة بن الاسود وكان من شأنهم فى
هذه الوظيفة أن رؤساء قريش كانوا لا يجتمعون على أمر حتى يعرضوه على صاحب هذه الوظيفة
وأما الاشناق فهمى الديات والمغارم فهمى من خصائص بنى تيم الذين منهم أبو بكر الصديق
فكان أبو بكر إذا نهض مع أحد صدقة قريش وأعانوا من نهض معه وأب نهض غيره خذلوه
وأما القبة فكانوا يعمدون اليها وقت الحرب فقط وكانوا يضربون قبة فيجمعون اليها ما يجهزون
به الجيش وكانت من خصائص بنى مخزوم الذين منهم خالد بن الوليد صاحبها . وأما اللاعنة وهى
رأسه الخيالة وكانت هذه الوظيفة للمخزومى أيضاً وخالد . وأما السفارة فيحتاجون اليها فى الحروب
فى أوائلها أو بعد شوب نارها اذا نافرهم حتى للمفاخرة وكانت فى بنى عدى الذين منهم عمر بن الخطاب
صاحبها وناهيك به إذا كان سنيراً لقوم . أما الايسار فهمى الايثار والقداح كانوا يضربون بها
إذا أرادوا أمراً وكان هذا من خرافاتهم وكانت فى بنى جمع الذين منهم صفوان بن أمية
صاحبها . وأما الاموال المحجرة فهمى الاموال التى سموها لآلهتهم وكانت من خصائص بنى سهم
الذين منهم الحارث بن قيس صاحبها .

- القوم : (بصوت مضطرب) لبيك ربنا لبيك .
 [ثم يسجدون ويرفعون رموسهم من السجود ، فيشتد اضطراب هبل
 ويكثر الدخان الخارج من فيه ويأخذ صوته في الارتفاع ...]
- هبل : يا معشر العرب قد سمعتم لى وأطعتم .
 وقد تقدمت إلى إله السماء أن ينظر إليكم نظرة العاطف المشفق، وأن يتولاكم
 برحمته ومغفرته ، فأجابني إلى ذلك ، ورفع درجاتكم في جنته ورضوانه .
- القوم : [جميعاً] شكراً لك ربنا شكراً لك .
 [ثم يسجدون سجدة طويلة]
- هبل : وقد أحسنتم البلاء في تجديد الكعبة وبنائها .
 ولكن احذروا كل الحذر من سفهكم الذى سيضل أحلامكم ، وسيسفه
 آراءكم ، ويعيب آلهتكم .
 [هنا تعلو أصوات الأصنام ويأخذ القوم في الذهول]
- هبل : نعم وحق الآلهة وعزتها وجلالها ، ووما قدمتم إلينا من قربان ونحرتكم على
 أنصابتكم من هدى ، وأفضتكم من عرفات ، وسعيتم بين الجبابين ليخرجن منكم رجل
 ينهاكم عن دين آبائكم ، ويدعوكم إلى دين جديد هو الشر كل الشر تذهب
 به زعامتكم ، ويضيع به شرفكم ، وينهدم له مجدكم ، فالحذر ، الحذر عذوبه
 وعاقبوه وشردوا أصحابه كل مشرد .
- وحق الآلهة لا يمان رجل منكم الا ألحقت به عذابي وسخطى ، نعم أن
 جهنم تلتظر من يحيد منكم عن سيئاتنا وإنى لا علم أن فيكم ضالين سيسمعون
 لهذا الرجل ويطيعون .
- فإياكم والإشفاق عليهم لا تراعوا لهم عهداً ، ولا عصية وها نحن
 لكم ، بالمرصاد .

اغدوا على قرايبنكم .

[ثم تسكن الأصنام وينقطع الصوت والدخان . فيقوم القوم وهم ذاهلون مضطربون]

أبو هب : هل سمعتم يا معشر قريش حديث الآلهة ، ومن هو هذا الرجل ؟ ألا تدلونني عليه لأريحكم منه وأقدمه قربانا إلى الآلهة . . ؟

أبو سفيان : والله ما لنا به من علم ، ولو عرفناه لقتلناه ، فلن نرضى لأنفسنا أن تعاب آلهتنا .

أبو هب : نعم وموعدكم غداً في دار الندوة .

[يطوفون بالكعبة ، ويتضرعون إلى الآلهة ، ثم يخرجون ، وبعدها يجتمع الشياطين إلى رئيسهم وهم يتشاورون]

إبليس : أرايتم يا أبنائي الأعزاء إلى هذه الحيلة التي ماسكتنا بها قلوب القوم ؟ ودفعناهم باسم الدين إلى أن يخرجوا على ربهم ويردوا بأيديهم حظهم من السعادة الدائمة والحياة الباقية .

الشیطان : [ذو الأنياب] قد رأينا أيها الرئيس حيلتك ، وأظنها ناجحة ، ولكنك تعلم أن قوة الله أشد من قوتنا ، وأنا نحتاج إلى كثير من أمثال هذه الحيلة حتى نتمكن من الوصول إلى غايتنا فننقضى على هذا النبي قبل أن ينتشر دينه ، فإني أرى أن دين الله سمح إذا انتقل من قلب إلى قلب اندفع فلم نستطع أن نرده أو نوقف تياره إلا بعد جهد جهيد .

وقد علمنا وعلمت أن الله متم دينه على كره منا .

إبليس : يعجبني منك نظرك في العواقب وحبك للاحتياط ، ولكن لا يصير بك هذا إلى الجبن والفرق فان الانسان ضعيف ، ونحن مسلطون عليه ، ومهمها

قوى الدين واشتد أزره فلا بد من أن نجد لنا أعوانا ينصروننا ويخضعون لنا
فلنشمركم عن ماعد الجد ولنبدل قوتنا وحولنا لمحاربة هذا النبي
والدخاظة على ما في هذا البلد من الضلال ، فان الخطر كل الخطر والشر
كل الشر في أن يدخل الهدى قلوب قريش ، لأن العرب جميعاً لهم تابعون
وعلى أثرهم سائرون .

لنحتفظ بهذه التماثيل المنصوبة ، والأوثان المرفوعة ، ولنصدم بها هذا
النبي الجديد ، ولنأته من طريق لا يجد عنها مندوحة .

فنعترف بوجود إله في السماء ، وبأن هذه الآلهة وسطاء بينهم وبين
الناس .

[هنا يدخل شيطان بشع الصورة ، مغبر الوجه ، وهو يلطم خديه ، وقد شق
ثيابه ونهق نهيق الجمر]

إبليس : ويك ، ما خطبك ، وما هذه الحال التي أنت بها . . ؟

الشيطان : [بصوت حزين] دهمتنا النازلة لا أجد واصابتنا الكارثة التي لها مردأ
وقد بعث محمد .

إبليس : [يقهقه] بعث محمد وأي شيء في ذلك . . . ؟

الشيطان : إنك يا مولاي لتستهزئ بهذه البعثة ، واني لا جد لها خطراً كبيراً على
ملكنا وسطوتنا .

إبليس : إنا لا نريد الجهن فدع عنك هذا واقصص علينا كيف كانت بعثته .

الشيطان : كان محمد رجلاً أميناً محبوباً ، حسن السيرة في قومه ، قد اشتهر بالصدق ، والأمانة

وبالعدل والفضيلة ، فلم تؤخذ عليه كذبة ، ولم تعرف عليه خيانة ،
وكلكم تعلمون أن قريشا اختلفت حين جاء وأن وضع الركن في
القبيلة التي ينبغي لها أن تضعه موضعه ، واشتد بها الخلاف في ذلك ،
وذكت نار الفتنة والموجدة وتناذر القوم الحرب ، وكادت تسفك
بينهم الدماء ، ومكثوا على ذلك أياماً أربعة ، ثم اجتمعوا بالمسجد ،
وتشاوروا متناصفين واقترح المغيرة بن عبد الله المخزومي أسنهم كافة
أن يحكموا فيما شجر بينهم من الخلاف أول داخل عليهم من
أبواب المسجد ، فرضى القوم ذلك ، واتفقوا عليه فكان أول قادم
هو محمد وتصايح القوم .

هذا هو محمد قد سلمنا

هذا الصادق قد رضيناه

ثم اختصموا إليه ، ففضى بينهم قضاء ردهم إلى السلم ، إذ بسط
رداه ووضع الركن في وسطه ، وأمر كل قبيلة أن تأخذ بطرف
الرداء وترفعه ، ففعلوا ، ووضع محمد الحجر موضعه بيده ، وبني
عليه واشتركت قريش كلها في رفع الحجر ، وتقسمت قريش كلها
هذا الشرف العظيم قسمة عاد ، وكان هذا الحكم الذي حقق
الدماء ورد السلام إلى نصابه ، وأحمد نار الحرب بعد أن كادت
تشتعل مصدراً لحب الناس له وعطفهم عليه والقوم بهذا الحكم
راضون فرحون . وهو كما تعلمون من عصبية قوية قد طاب
اصلها وذكت فروعها وانتهت الرئاسة إليها في قريش .

وقد تزوج كما تعلمون بامرأة لها من قومها عزة ومنعة ، سرية ، نبيلة وهي من أطهر أرومة ، وأشرف خؤولة وعمومة (١) .

(١) وتحدث ابن سعد بامساده ان نفيسة بنت منية قالت: كانت خديجة بنت خويلد بن عبد العزى ابن قصي امرأة حازمة جلدة شريفة مع ما اراد الله بها من الكرامة والخير وهي يومئذ أوسط قريش نسبا وأعظمهم شرفا وأكثرهم مالا وكل قومها كان حريصاً على زواجها لو قدر على ذلك قد طلبوها وبذلوا لها الاموال فارسلتني دسيسا إلى محمد بعد أن رجع في غيرها من الشام فقلت يا محمد ما يمنحك أن تزوج ؟ فقال ما بيدي ما أتزوج به قلت ان كفييت ذلك ودعيت إلى الجبال والمال والشرف والسكينة ألا نجيب ؟ قال فمن هي ؟ قلت خديجة قال وكيف لي بذلك ؟ قلت على وأنا أفعل . قالت فرأيتك وقد تهلل ورجم واهتز بشرا ان انقلب إلى خديجة احمل لها البشري فطربت ما شامت أن تطرب واهتزت في الحال وربت وبدت طمعة غضة للناظرين وارسلت إلى محمد ان أنت لساعة كذا وكذا وارسلت إلى عمها عمرو بن اسد ليزوجها من محمد وذهب محمد إلى عمه أبي طالب يعرض عليه أمره فقال نعم ما اخترت يا بني فالنجيبة كفء النجيب وقال محمد وتزعم أنها تكفيني صداقها ولا ارضى بذلك فقال أبو طالب أما صداقها فمحمول على وأنا استوفيه منك ما شاء الله أن يعطيك فطابت نفس محمد به .

وهكذا انضم محمد إلى عش خديجة فكان قرعة عينا وهي أول امرأة تزوجها في الجاهلية قبل أن يوحى إليه وقد ادركت الاسلام والوحى رضى الله عنها وكان عامة أولاده منها . منهم القاسم وبه كان يكنى وهو أكبر أولاده ثم ابنته زينب ثم ابنة عبد الله الطاهر ولد في الاسلام ثم ابنته أم كلثوم ثم فاطمة ثم رقية وزوج فاطمة من علي بن أبي طالب وزوج رقية من عثمان بن عفان فماتت فزوجها أم كلثوم وزوج زينب من رجل يقال له ابو العاص بن الربيع في الجاهلية فلما نزل الوحي ثبت أبو العاص على شركه فاستلب النبي ابنته على كره منه ثم اسلم بعد ست سنين فردها عليه ومات كل أولاده قبله إلا فاطمة عاشت بعده ستة أشهر واختلف في عدة أزواجه وترتيب تزويجهن والمتفق عليه انهن إحدى عشرة . ستة من قريش وهن :

خديجة بنت خويلد وعائشة بنت أبي بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب وأم حبيبة بنت أبي سفيان وأم سلمة بنت أبي أمية وسودة بنت زمعة .

واربع عربيات وهن زينب بنت جحش وميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة وجويرة بنت الحارث سيد بنى المصطلق . وواحدة غير عربية من بنى اسرائيل وهي صفية بنت حبيبة من بنى النضير . هؤلاء هن أمهات المؤمنين اللاتي توفي عنهن .

وأما سراريه فاربع . مارية القبطية وهي أم ولده ابراهيم وريحانة من بنى قريظة ونفيسة جارية زينب بنت جحش وقد وهبتها له والرابعة وقد اصابها في بعض السبي لم يعرف اسمها .

فاذا جمعتم هذه الأسباب بعضها إلى بعض عرقتم أن من الصعب جداً على أية قوة في العالم أن تقاومة ، لاسيما إذا أيد بقوة الله التي لا راد لها .

ابليس : نحن لا نريد الجبن ، فلا تسكثر علينا من هذا الشرح والتفصيل ، بين لنا كيف كانت بعثته ، فلم نرسلك إلا لذلك .

الشیطان : إني لم أذكر هذا التاريخ الموجز جبناً أو فرقا وإنما أريد أن أبين حرج الموقف الذي سنقفه من هذا الرجل لنتخذ الحيعة قبل الإقـام وانعلم اننا إذا اقتحمناه كنا قد أتينا أمراً عجيباً يجب أن نفتخر به على مر الزمان وكر الاحقاب وإذا كنتم تسكثرون أن تسمعوا تاريخ هذا الرجل فإني أقص عليكم بالإيجاز والإختصار بعثته وكيف كانت .

واعلموا قبل كل شيء أني لا أخاف على نفسي أن أومن به أو أكون من أنصاره وإن كانت آياته ظاهرة واضحة

كان محمد رجلاً عفيفاً عن دين قومه ، يذكره سرّاً ، ولا يجهر بذلك ، ولم يعرف عنه أنه سجد لضم من هذه الأصنام أو قرب إليه ولم يكن مع ذلك يمجّد الإله بل كان يعتقد ويؤمن به ايماناً صحيحاً وكان يعبد عبادة حقّة . وذلك أنه كان يعتزل قومه ، ويهجر بيته مدة من الزمان في كل عام ويخلو إلى نفسه في غار حراء فيعبد ربه هناك .

أحد الشياطين : وكيف كان يعبد ؟

الشیطان : كان يعبد ربه في هذا الغار عبادة صحيحة هي التي أمر الله بها في جميع ما أنزل من الكتب والشرائع ، وهي خلاصة الأديان ونتيجتها تلك العبادة التي تعرف الانسان نفسه وتشعر قلبه بأنه سيد هذا العالم وما فيه ، وأنه لم يخلق وعشاً يترك سدى ،

ولما خلق ليؤدى حقاً فرض عليه ويبلغ من الكمال منزلة رفيعة بسور متين تلك العبادة التي لا تقوم لنا قائمة إلا إذا حاربناها وضربنا بينها وبين الناس أريد بها التفكير في خلق السموات والأرض ، والتدبر فيما يشتمل عليه هذا العالم من الآيات البينات ، والآثار الناطقة بوجود إله حكيم .

هذه عبادة محمد ، فقد كان إذا خلا إلى نفسه جعل بفكر في هذه الأشياء وكثيراً ما حاولت أن أصرفه عنها ، وأحول بينه وبينها أو أن أوسط هذه

التمثيل في العقيدة بينه وبين ربه .

كثيراً ما حاولت ذلك فسكنت أجد قوة خفية ، ولكنها شديدة جداً تصدني عن ذلك ، حتى مضت تلك السنون الطوال التي حاولت فيها إغواءه ولما اظفر بطائل ، ويسوءني جداً أن أعان اليكم أنى فشلت فشلاً ذريعاً فيما كلمتموني إياه ، وأردتموني عليه ،

ابليس : ولذلك أخذت تقدم المآذير وتبسط الحجّة لتنجو من العقاب .
الشيطان : لا . لم أبسط حجة ولم أتقدم بمعذرة وإنما قلت لكم الحق وأنا قابل حكمكم على وإن لم أكن للعقاب أهلاً فإن الرئيس نفسه لو حاول ما كنت أحاول من إغواء هذا النبي وإضلاله ما استطاع إليه سبيلاً .

ابليس : [بصوت مزعج] اخسأ . أتمم حديثك
[ثم يثب عليه الشياطين ، فيشير اليهم ابليس فيعودون إلى أماكنهم]
أحد الشياطين : هذه أول مصيبة تنالنا من هذا النبي . وأى مصيبة أكبر من أن يتوب شيطان عن ديننا ويؤمن بدين الله .

الشيطان : [المتكلم] قد قلت لكم إني .
ابليس : [مقاطعاً] إنك لا تريد أن تؤمن به .
الشيطان : نعم ولو أردت ذلك ما عدت إليكم .
ابليس : [بصوت منكسر] أتمم حديثك . كيف بعث محمد ؟
الشيطان : كنت واقفاً بإزاء الغار ذات يوم ، وإذا بملك قد نزل .
ابليس : هو الناموس الأكبر الذي كان يأتي موسى بن عمران ، هو جبريل .

الشيطان : نعم . تمثل رجلاً ، فدخل على محمد فقرب منه صحيفة مكتوبة وقال له ، اقرأ فقال له ما ، أنا بقارىء فأخذ فخطه حتى بلغ منه الجهد ، ثم أرسله فقال له ، اقرأ فقال ما أنا بقارىء ، ثم أعاد عليه ذلك ثلاث مرات وهو يجيبه بمثل جوابه وعند ذلك نطق له بأول آية من الكتاب الذي أخشى أن يقضى علينا قضاء أخيراً ولم يفجأ محمد بلقاء الملك ولا تلقى الوحي وإنما هيء لذلك شيئاً فشيئاً حتى أنكر نفسه فقد جعل قبل أن يأتيه الملك بوقت طويل يرى من آيات ربه أشياء لم يكن يراها من قبل وكان أول أمره من ذلك أن صدقته أحلام الليل صدقاً لم يألفه الناس ولم يألفه هو فيما مضى من دهره فكان لا يرى

رؤيا الا صدقت كأنها فلق الصبح ثم أحس حب الخلوة فكان لا يلم بمكة إلا قليلاً ثم يخرج منها فيمضي أمامه في شعاب الجبال مستأنساً بهذه الوحشة مطمئناً الى هذه الوحدة فكان لا يمشي إلا سماع الأصوات تناجيه أحسن النجوى تحدثه عذب الحديث وتحية أكرم التحية يسمع ذلك من الأشجار والأحجار وحصاء الأرض ويسمع ذلك من نسيم الجو حتى أنكر نفسه وحتى أقبل ذات يوم على خديجة بنت خويله زوجته مدعوراً يقول تعالين يا خديجة اني والله ما أبغضت شيئاً كما أبغض هذه الأوثان التي تعكف عليها العرب وما كرهت شيئاً كما أكره ما ألف العرب من السكاهة واني مع ذلك لأجد أشياء أنكرها وأخشى أن يلمني لم لم أو أن أصير الى السكاهة فتقول له خديجة لا بأس عليك أنت أكرم على ربك وآثر عنده من أن يصنع بك هذا انك لتصل الرحم وتحمل الكل وتكسب المعدوم وتقوى الضعيف وتعين على نوائب الحق وتصدق الحديث وتؤدي الأمانة .

الشياطين : وما هي تلك الآية ؟

الشیطان : هي « اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » (١)

(١) قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : جاءني جبريل وأنا نائم بخط من ديباج فيه كتاب فقال اقرأ قال قلت ما اقرأ قال ففتح به حتى ظننت انه الموت ثم أرسلني فقال اقرأ قال قلت ماذا اقرأ ما أقول ذلك الا افتداء منه ان يعود لي بمثل ما صنع بي فقال : (اقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق اقرأ وربك الأكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم ، قال فقرأتها ثم انتهت فانصرف عني وهبت من نومي فكأنما كتبت في قلبي كتاباً فخرجت حتى اذا كنت في وسط من الجبل سمعت صوتاً من السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل قال فرفعت رأسي الى السماء انظر فاذا جبريل في صورة رجل حاف قدميه في أفق السماء يقول يا محمد أنت رسول الله وأنا جبريل فوقفت انظر اليه فما أقدم وما تأخر وجعلت أصرف وجهي عنه في آفاق السماء فلا أنظر في ناحية منها إلا رأيته كذلك فما زلت واقفاً ما أقدم أمامي وما أرجع ورائي حتى بعثت خديجة رسالها في طلب فبلغوا أعلى مكة ورجعوا اليها وأنا واقف في مكاني ذلك ثم انصرف عني وانصرفت راجعاً الى أهلي حتى أتت خديجة فجلست الى نخلها مضيقاً اليها فقالت يا أبا القاسم . أين كنت ؟ فوالله لقد بعثت رسلي في طلبك حتى بلغوا أعلى مكة ورجعوا الى . ثم حدثتها بالذي رأيت فقالت ابشر يا بن عم واثبت فالذي نفس خديجة بيده اني لأرجو ان تكون نبي هذه الامه) .

[هنا يضطرب الشياطين جميعاً ، ويكاد يغشى عليهم] .

إبليس : [يصيح بأعوانه صيحة منكرة ، فيقومون وهم في ذعر شديد يضرب بعضهم بعضاً] :

ويلكم أين ما تعلمونه منى؟ أهذه هي قوتكم وبأسكم ..؟

أهذا هو مكركم الذي ستحاربون به عدوكم؟

أحد الشياطين: معذرة يا مولاي الرئيس ، فلم يكن لنا جلد على أن نسمع ذلك الكلام .

إبليس : إني أخشى أن أكون قليل الثقة بما ستبدلونه من القوة لمحاربة هذا العدو .

الشياطين : كلا ، كلا .

إبليس : إذا الكلمة الأخيرة التي أقولها لكم أن يذهب كل واحد منكم إلى دار الندوة

فيأخذ مكانه بجانب رجل من قريش ، حتى إذا أخذوا في الشورى لم يتكلموا إلا بالسنتكم ، ولم يجمعوا إلا على رأيكم .

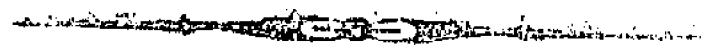
أما أنا فساذهب في ذي رجل نجدى ، وستكون لمشورتى على القوم المنزلة العليا من القبول والتأثير .

[وهنا يثب الرئيس وثبة منكرة اوكذلك أتباعه وهم ينشدون ...]

يا جنود الضلال	وحماة المحال
أقبل الهدى	فالبسوا للكفاح
جده لا المازح	وابسطوا اليدا

جاء داعى العباد	لسبيل الرشاد
مبطل الوثن	فانفضوا لانتقاء
شر هذا البلاء	وادفعوا الحزن

ويحكم	جردوا	عزمكم	جددوا
وانشروا	الفتن	اطلبوا	الانتصار
والعلا	والفخار	أو إلى	الردى



الفصل الثالث

دار الندوة أو دار قصى بن كلاب

[منزل به قاعة كبيرة وقد اجتمع فيها الشياطين الى رئيسهم

وجلسوا يتشاورون]

ابليس : كأنكم بالقوم مقبلين الى مشورتهم ، فاعلمكم ما أمرتكم به من أن يجلس كل واحد منكم إلى جانب رجل منهم فيوسوس له بما يتكلم به ، اعلموا أن محمداً قد اشتدت شوكته ، وقد كاد دينه ينتصر ، فإذا لم نقتله الليلة فليس لنا رجاء في النصر بعد ذلك .

نعم طالما عارضناه وناوأناه ، ولكنه سيترك لنا الليلة هذا البلد إلى قوم قد أعطوه العهد والميثاق على أن ينصروه ويشدوا أزره ، نخذوا حذرهم ، أما أنا فسأترككم الآن لأحكم الرأي الذي دبرته .
(يخرج)

أحد الشياطين : أرى القوم مقبلين ليأخذ كل منكم مكانه

[وهنا يدخل القوم أفواجا ، ثم يدخل أبو لهب يلثم وهو يقول]

إني لعبد العزى . بها بلغت العزا . اعباء جنبي عنا . انى لعبد العزى .

أبو سفيان : مرحباً بعبد العزى

أبو لهب : يا معشر قريش ، قد علمتم لم اجتمعنا

القوم : نعم

أبو لهب : فإن محمداً قد بالغ في الدعوة إلى دينه ، وقد علمتم صدق الآلهة فيما أنبأتكم ولعلكم لا تنسوا أن هبل أقسم ليخرجن من رجل يسفه أحلامنا ويكذب ديننا ودين آبائنا ، وأوعد من أطاعه بالجحيم وضمن لمن عصاه النعيم ، وقد خرج هذا الرجل من خيركم حسباً ونسباً ومن أشدكم قوة وعصية ومن أنفذكم كلمة وأصدقكم رأياً ومن بنى هاشم ، وقد قام يخبرنا بأمر وقع له يشبه ما نسمعه عن أمر موسى نبي بني إسرائيل فلئلا نزداد شقة الخلاف والبغض بيننا وبين بني هاشم أوفدنا أبا الوليد فلقى محمداً وقال له : يا ابن أخي انك قد أتيت قومك بأمر عظيم ، فرقت به جمعهم وسفحت بواسطته أحلامهم وعبثت بألهمهم ودينهم وكفرت من مضى من آبائهم فاسمع مني أموراً لعلك تقبل منها بعضاً : إن أردت بالذي فعلت مالا جمعناه لك أو شرفا سودناك علينا فلا نقطع أمراً دونك وإن كان يأتيك رأى تراه لا تستطيع رده عن نفسك طلبنا لك الطب وبذلنا فيه أموالنا حتى نبرئك منه . قال : ما بي ما تقولون ما جئت بما جئت لأطلب أموالكم ولا اشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن بعثني الله اليكم رسولا وأنزل علي كتاباً وأمرني أن أكون لكم بشيراً ونذيراً فبلغتكم رسالات ربي وانصحت لكم فان تقبلوا مني ما جئتكم به فهو حظكم في الدنيا والآخرة وإن تردوه فعلي الصبر لأمر الله حتى يحكم بيني وبينكم ولا تنسوا يوم ذهبنا بجمعنا إلى أبي طالب قد بسط وحميته على محمد

[وهنا يدخل ابليس في صورة شيخ وقور]

أبو سفيان : ممن الشيخ ؟

ابليس : رجل من نجد سمع يوم الرحمة وبما اتخذتم له فجاء ليحضر مجلسكم عساه أن ينفعكم رأيه ونصحه .

أبو سفيان : أجل مرحباً بك أيها الشيخ الوقور .

أبو سفيان : فلنخلق الباب علينا لئلا يتسرب الخبر منا أرى أن يحرس الباب شديدة وعتبه

ابو لهب : نعم ولو كان هذا الرجل غير محمد لكانت البلية ، ولكنه هو محمد ذلك الصادق الأمين الذي كنّا نجله ونذعن له ، فلعمري ما أدري كيف زعم أنه مرسل من عند الله ؟

ظهر محمد وكنتم دعوته إلى دينه ثلاثة أعوام تبعه فيها خلق كثير من الأقوياء والمستضعفين ، ثم زعم ، أن ربه قد أذن له بإعلان الدعوة ، فأنذر عشيرته الأقربين ، وكنتم منهم ، فلم أزل بهم حتى صرفتهم عنه ، ونفرتهم منه وقد كان من حماية عمه له ما تذكرون .

كل ذلك بغض اليكم وأنا معكم أيضاً بنى هاشم ، فتعاهدنا على مقاطعتهم ومنابتهم فلم يكن بيننا وبينهم علائق ولا معاملات حتى سئمنا ذلك وسئموه وحتى مات أبو طالب فاستبجنا لأنفسنا إيذاء محمد والانتقام منه ، فألحقنا به وبأصحابه كثيراً من الضر ، حتى هاجر منهم إلى بلاد الحبشة خلق كثير ، وما يؤسف له أن اقوانا عضداً وأشدنا بأساً وأربطنا جأشاً - أي عمر بن الخطاب - قد آمن بهذا الرجل .

كل ذلك قد كان ولم يلق محمد وأصحابه منا إلا نكراً ، فحمله ذلك على أن يعرض نفسه على قبائل العرب في الموسم يبتغي منهم النصر والمعونة ، فكنت أصدهم عنه حتى لا يفلح وقد ترك مكة وذهب إلى ثقيف بالطائف يستنصرهم فخذلوه وآذوه إيذاءً شديداً .

ولقد كانت هذه الخطة التي اتبعناها معه بإرشاد الآلهة كفيلة باسقاطه واحباط سعيه ، لولا أنه التجأ إلى الأوس والخزرج من أهل يثرب سرّاً منذ سلتين فقبلوا دعوته وبايعوه على أن ينصروه ويمنعوه مما يمنعون منه أنفسهم ونساءهم وأبنائهم وأموالهم فخذلوا على يديه قبل أن يجتمع عليه العرب

وقد أنبأتنا الآلهة بأنه ظاعن الليلة عن هذا البلد إلى يثرب (١) فواللات والعزى لئن مكنتنموه من ذلك ليكونن عليكم حرباً وليصرفن عنكم وجوه العرب ووفود الحجيج وليضر من عليكم ناراً لا قبل لكم بها .
يا معشر قريش واللات والعزى إن هذه الليلة المقبلة لهى الفاصلة بينكم وبين محمد فإما أن يفوز فوزاً عظيماً وإما أن يموت بسيوفكم فتتوالوا عز الدهر يا معشر قريش ، تالله ما رضى أحد بما رضيتم به من تسفيه أحلامهم وسب آبائهم وتكذيب دينهم والزراية على آلهتهم ثم يسكتون على ذلك إلا كانوا جبناءً أذلاء !!

يا معشر قريش كأنى بالآلهة ينظرون اليكم نظرة المستنصر المتوعد فإن نصرتموه فالسعادة الدائمة وإن خذلتموه فالخذلان المبين .
يا معشر قريش إن يفتكم محمد الليلة فقد التجأ إلى قوم أولى قوة وأولى بأس شديد ، لهم من خصب أرضهم وكثرة عددهم حول عليكم وطول وهم أهل الحلقة ورثوها كابراً عن كابر ، وقد بايعوه على أن ينعود بما ينعون منه نساءهم وأبناءهم ، فانظروا ماذا تصنعون ؟
(يجلس)

أبو سفيان : أعمري لقد قلت فأجدت ، ونصحت فصدقت ، وانا لأحوج ما نكون إلى أن نسمع لقولك ونصغى إلى رأيك فأشر علينا

(١) يثرب سواء كانت اسم مدينة أو اسم رجل مشتقة من الكلمة المصرية القديمة (اقريس) وقال السمعوني في خلاصة الوفا ان اثرب لغة في يثرب ولعل اثرب هى القراءة الصحيحة لاسم المدينة منذ القدم . ولما هاجر عليه الصلاة والسلام اليها كره ان تسمى باسمها هذا لان اصل التثريب الافساد وسماها طيبة وطابة وفي ذلك يقول ابن عباس من قال للمدينة يثرب فليستغفر الله ثلاثاً انما هى طيبة وكانت هذه سنة رسول الله فلم يكن يبقى على اسماء الصحابة اذا كان فيها ما يبغضه لشؤم طالعها وانما كان يبدلها بأسماء اخرى ميمونة الطالع وهو من اجل ذلك سمي حزننا : سهلاً . وسمى أجدع : عبد الرحمن ، وسمى صخر : عبد الله . ويبدو ان طيبة كانت معروفة قبل الاسلام فقد ذكرها كعب الاحبار فيما عده من اسماء المدينة التي وجدها في التوراة .

ابو لهب : لا رأى عندي إلا أن يقتل

احد الجالسين : ولكن ماذا نصنع مع بنى هاشم وقد قاطعناهم ودامت هذه المقاطعة ثلاث سنين كانت محنة قاسية على محمد وأوليائه . وكانت سبباً في قيام زهير بن امية مهيباً بأهل مكة صارخاً : أنا كل الطعام ونلبس الثياب وبنو هاشم والمطلب هلكى لا يبيعون ولا يبتاعون والله لا أقعد حتى تشق هذه الصحيفة الظالمة القاطعة . ويتقدم المطعم بن عدي يومئذ والسيف يلح في يمينه فيشقها بين أصوات التهليل والتكبير .

ابو لهب : تلك هى التى نبحث عنها

ابو سفيان : نعم ان بنى هاشم ذووا عصبية، وأولوا قوة وبأس، وخلفهم من العرب نصير ولهم منا رحم وقرابة، والحرب ممكنة ، ولكنها مهلكة، فانظروا واحصفوا الرأى ثم اشيروا

امية : احبسوه فى الحديد واغلقوا عليه باباً ثم تربصوا به ما اصاب اشباهه من الشعراء الذين كانوا قبله حتى يصيبه ما أصابهم

ابو لهب . كالنابغة وزهير ومن مضى منهم

ابليس : (متنكراً) لعمرى ما صنعت شيئاً ولئن فعلتم ذلك لينفذن امره إلى أصحابه فيضرمون عليكم ناراً محرقة ، وليخرجن امره من وراء الباب الذى اغلقتم دونه إلى أصحابه والله ما هذا لكم برأى فانظروا فى غيره

آخر : نخرجه من بين اظهرنا فننفيه من بلادنا فاذا أخرج عنا فوالله ما نبالى أين ذهب ولا حيث وقع ،

ابليس : لا والله ما وفقت ، فلو خرج لاشتد عليكم اذاه ، ألم تروا حسن حديثه وحلاوة منطقه وغلبته على قلوب الرجال . ولم تخرجوه وهو يريد أن يخرج من نفسه ؟ دبروا فيه رأياً غير هذا .

أمية : كائما كان أبو طالب يتنبأ لابن أخيه حين قال . وقد جاء بأمر قبله الجنان
وأنكره اللسان مخافة الشنآن (١) .

ابليس : ولعمري يا معشر قريش لقد جئتمكم برأى هو الخير كله .
القوم : هات .

ابليس : يجتمع من كل قبيلة من قبائل قريش شاب جليلد نسيب وسيط فينا ، ثم
نعطى كل فتي منهم سيفاً صارماً ثم يجلسون بياب محمد حتى إذا خرج وثبوا

(١) خطبة عبد المطلب زعيم قريش وقد التف حول سريره وهو مريض سادة قريش وقادتها
يا معشر قريش ، أنتم صفوة الله من خلقه ، وقلب العرب ، فيكم السيد المطاع ، وفيكم المقدم
الشجاع ، الواسع الباع ، اعلّموا أنكم لم تتركوا للعرب في المآثر نصيباً إلا أحرزتموه ولا شرفاً
لا أدركتموه ، فلكنم بذلك على الناس الفضيلة ، ولهم به اليكم الوسيلة والناس لكم حزب ، وعلى
حربكم الب ، واني أوصيكم بتعظيم هذه الكعبة فإن فيها مرضاة للرب ، وقواماً للمعاش وثباتاً للوطاة
صلوا أرحامكم ولا تقطعوها فإن في صلة الرحم منساة في الاجل وسعة في العدد واتركوا البغي
والعقوق ففيهما هلكة القرون قبلكم . أجيئوا الداعي وأعطوا السائل فإن فيهما شرف الحياة
والممات . عليكم بصدق الحديث وإداء الأمانة فإن فيهما محبة في الخاص ومكرمة في العام واني
أوصيكم بمحمد خيراً فإنه الأمين في قريش والصديق في العرب وهو الجامع لكل ما أوصيكم به
وقد جاء بأمر قبله الجنان وأنكره اللسان مخافة الشنآن وإيم الله كأنى انظر إلى صعاليك العرب
وأهل البر في الاطراف والمستضعفين من الناس قد أجابوا دعوته وصدقوا كلمته وعظموا أمره
فخاض بهم غمرات الموت فصارت رؤساء قريش وصناديدها اذناباً ودورها خراباً وضعفاؤها
أرباباً وإذا أعظمهم عليه أحوجهم اليه وابعدهم منه ، أخطأهم عنده قد محضته العرب ودادها
وأضفت له فؤادها وأعطته قيادها . دونكم يا معشر قريش ابن ابيكم كرونوا له ولالة ولحزبه
حماة والله لا يسلك احد منكم سبيله الارشد ولا يأخذ احد بهديه الا ساعد ولو كان لنفسى مدة
ولا جلي تأخير لكففت عنه الهزاهز ولدفعت عنه الدواهي .

عليه فضر به بسيفهم ضربة رجل واحد ، فيقتل ولا تستطيع بنو هاشم أن تطلب دمه من قبيلة بعينها كما أنها لا تستطيع أن تعادى قريشا أجمع فيضيع دمه بيننا هدرأ .

ابو سفيان : لا عدمننا رأيك أيها النجدي والقول ما قال الرجل . هذا الرأي لا رأى غيره .

ابو لهب : [ضاحكا] ولعمري إن هذا لمن توفيق الآلهة ، فإذا ترون يامعشر قريش ؟ القوم : [جميعاً] هذا حق ، هذا حسن .

أبو لهب : إذا فلننصرف الآن ، ولتبعث كل قبيلة رسولها إلى باب محمد مساء اليوم [يهم ابليس بالخروج]

ابو سفيان : إلى أين أيها النجدي

ابليس : إلى الأبالسة بوادي عبقر !

ابو سفيان : يالك من عبقرى

[يخرجون ويدخل الشياطين] .

ابليس : إلى هنا يظهر اننا قد فزنا

الشيطان : [ذو الأنياب] : لم نفر إلا في تسيير قريش إلى ما نريد ولكن من لنا بمصادمة الأسباب الطبيعية والفوز على الله نفسه فإنه قد وعد نبيه بالنصر ، وأكد له الفوز ، وإنى لأخشى أن تكون هذه الحركات التي نأنيها أشبه بحركات المذبوح قبل الموت . ،

ابليس : [صارخاً] أف لك من يائس جبان

أحد الشياطين : وقد وعد الله نبيه موسى وغيره من الأنبياء بالنصر ولكننا مع ذلك قد انتصرنا عليهم .

ابليس : [ينظر] أرى فتاة مقبلة ، ففيم جاءت . . ؟

شيطان [العشق] : هذه يا مولاي الرئيس فتاة عاشقة جاءت لتلتظّر حبيبها .

ابليس : لا شأن لنا هنا ، فلنخرج الآن

شيطان [العشق] : كلا يا مولاي ، ان لي شأنًا كبيراً ، فكيف أترك هذين العاشقين بدون أن أغريهما . إن شئتم أن تخرجوا فافعلوا ودعوني وإن شئتم أن تبقوا فتنظروا ما يجري بينهما فافعلوا ،

أحد الشياطين : ان لدى أعمالاً كثيرة وقد تركت قبيلتين من قبائل العرب على مقربة من الحرب ، فلا بد من أن أرجع لأعلن الحرب إعلناً نهائياً .

آخر : ولدى أيضاً أعمال كثيرة ، فقد تركت جماعة من أهل نجد يتأهبون للهرب والسلب ، ولا بد من أن أهديهم سواء السبيل .

آخر : ولدى أيضاً أعمال كثيرة ، فقد تركت مدائن الفرس في خلاف شديد ، وهم عازمون على قتل الملك ، فلا بد من أن اتمم عملي .

آخر : ولدى في مصر أعمال أخرى فقد تركت الخلاف شديداً بين البطريك والحاكم الرومي وقد هم الحاكم بقتله وأخاف أن يهرب البطريك فيجب أن ادركه .

ابليس : إذا فليذهب كل منكم إلى عمله ولا تلسوا أن تجتمعوا هنا في المساء لتشهدوا قتل محمد .

أما أنا فسأبقى في هذا البلد لأحرص الناس وأوغر صدورهم حتى لا يكون منهم فتور ولا قصور .

[يخرجون ويبقى شيطان العشق مختفياً . وهنا تدخل الفتاة . . .]

الفتاة : [وهي في ذهول] ويحي قد كنت أسمع أصواتاً خفية ، وأنا الآن أرى خيالات مزعجة وإني لأحس بنذير سوء يتقدم الي ، وقد أبطأ عليّ حبيبي فليت شعري ماذا حدث ؟ .

فقد التقينا في الصفا ، وكان ميعادنا ان ينتظرني هنا بعد فراغه من المشورة
فأين ذهب . . وما باله لم يأت ؟؟

إني لأخشى عليه العاديات ، فإن القوم به يأترون ، وقد كنت أرى على
وجهه بالأمس آثار التردد والاضطراب .

الشیطان [هامسا] : صدقت ، فإنه لم يأت للمشورة اليوم ، ولقد شغلت عنه ولا أدري
أين هو ؟

الفتاة : [منتحبة] إذا فخير لي أن أنصرف لأبحث عنه ، ولا تعرف شؤونه ، فلعل
قارعة قد أصابته ، ويلاه ، اني لمشفقة عليه من أشياء كثيرة أفلها سنخط أبي
فيجب أن أخرج الآن لعل أعرف من أمره شيئاً .

[تهم بالخروج ، وهنا يدخل العاشق رزيناً تبدو على وجهه ابتسامة جميلة] .

الفتى : مكانك أيتها الحبيبة لا تخرجي فهأنذا قد جئت وأعتذر إليك من التأخير

الفتاة : (مبهتجة) لعمري لقد روعتني كثيراً .

[ثم تريد مصاحفته فيكف يده] ما بالك لا تصالحني وهل هناك ثالث ؟

الفتى : لا .

الفتاة : إذا فإلك ؟

الفتى : لست أدري ماذا أقول لك ولكن . . . (يبكي) .

الفتاة : [بسكون] إنه يبكي ، ليت شعري ما الذي جرى ، انبشني بحقي عليك لماذا

تلتجب ؟؟ ولماذا تنفر من مصاحفتي ، ولماذا جئت إذا . . ؟

الفتى : انتجب لأن الفراق قد حان حينه وآبى مصاحبتك لأنها على حرام ، وجئت
لأودعك الوداع الأخير .

الفتاة : [مرتجفة] : ماذا أسمع من الالغاز . . ؟

تبسكى لقرب الفراق، وتأنى مصافحتي لأنها حرام عليك ، وجئت لتودعني
فإذا حدث ؟ تبسنى فقد أزججتني .

الشیطان [هامساً] : إن صدق رأيي فقد حدث لهذا الفتى حادث جلل لم يخطر لي على بال
الفتى [يلتفت يميناً وشمالاً] : لا ، ليس هنا أحد ، أتريدن أن تعلمي الحقيقة ؟
الفتاة : من غير شك .

الفتى [بهدوء] : إني قد تبعت محمداً ،

الفتاة [صارخة] : ويلاه يا للداهية ويا للبصيبة .

الفتى : تثبتي فإني لم أتم حديثي ،

الفتاة : لعمرى لقد صدعت قلبي بهذا الحديث ، وقد وقفتني موقف الحائرة الذاهلة
فلا أدري ماذا أصنع ، ولا أعرف كيف أقول .. ؟

الفتى : إن الطريق واضحة ، والأمر ظاهر ظهور الشمس ، فإنك تحبينني وأنا
أحبك ، وقد استجبت لدعوة محمد :

الفتاة [مقاطعة] : لا تسمعني هذا الاسم ،

الفتى : إذا فأذني لي بالانصراف .

[يهم بالخروج]

الفتاة : قف أكمل حديثك . ثم ماذا ؟

الفتى : ثم أريد أن أهاجر إلى المدينة مستخفياً فإن كنت على عهدك فهلبي اتبعي
هذا النبي الكريم واخرجي معي .

الشیطان [هامساً] : يا للداهية .

الفتاة [بحماسة] : تلك التي تصطك منها المسامع . أجننت ؟ .

كيف أترك دين أبي وأخرج مستخفياً من بلدي فيحدث العرب أن ابنة
فلان هربت وجابت علي أبيها عاراً لا يمحي .

الفتى : إذا فالوداع ، وإنى لأرجو أن يهدى الله قلبك ، فنجتمع مسلمين كما اجتمعنا مشركين .

الفتاة [بحماسة] : مكانك فإنك لا تستطيع أن تخرج وقد استحال حبك في قلبي إلى بغض ، ولا بد من أن أدل القوم عليك فيقتلوك قبل أن تخرج من مكة .

الفتى : [مبتسما] لعمر أبيك ما صدقت ولا بررت في حديثك فإن حبك لى أثبت من أن ينقلب إلى بغض فى لحظة واحدة وإنه إذا كان كذلك فحق على أن لا أمكنك من الخروج ، ولست لأبى أن لم أروى سبى هذا من دمك ،

الشیطان : [مبتسما] إن فاتنى إغواؤهما على الفجور فلم يفتنى سفك دم أحدهما ولا بد من أن شيطان القتل سيشكر لى هذا الصنيع .

الفتاة : [بصوت هادى] : هون عليك أيها الحبيب فقد كانت بينى وبينك نزوة أظها شيطانية .

فما بالنا قد لجأنا إلى السيف ونحن نستطيع أن نجعل الحب حكما بيننا ؟
الفتى : أنت التى قد أوجأتنى إلى ذلك ، ولست أريد أن أطيل الحديث فلهى أسمعى كلماتك الأخيرة . أهسلة أنت ؟

الفتاة : لا

الفتى : إذا فلا موقف لى معك .

الفتاة : انى أقسم عليك أن تصطنع الأناة لعلنا نتفق . إنه قد كانت بينى وبينك مودة قديمة منذ سنين ، وقد أوشكننا أن نجنى ثمرتها ، ولم تكن العواطف الدينية تستطيع أن تحكم بيننا وإنما كنا نكتفى بعواطف الحب والغرام فلماذا أصغيت إلى تلك العواطف واستجبت لمحمد ، أليس من الممكن أيها الحبيب أن نعتزل الفريقين ونعيش وحدنا لادين لنا إلا الحب . . . ؟

الفتى : مستحيل سبق السيف العذل واعلمى أن هذا الامر لا يحتمل مناقشة ولا جدالاً عزيز، علىّ جداً أن أحدثك بهذه اللهجة ، ولكن معذرة اليك فإنى مغلوب على أمرى ،

الفتاة : إنى لا أستطيع أن أصادر عاطفة كهذه تخيّل إلى أنها شديدة، ولكنى أرى رأياً ربما كان فيه الخير كل الخير .

الفتى : هات ..!!

الفتاة : ابق على دينك ، ولكن تكتمه وابق معى وأنا أؤكد لك أنى أتبعك .

الفتى : لا يمكن ، إن الهجرة أصبحت أمراً مقضياً .

الفتاة : لعمري لقد قلبت وجوه الحيلة فلم أفلح ، وانى لبين نارين .

فإما فراق وإما جلب العار على أبى ،

كلاهما صعب لا يحتمل ، فأشر علىّ ؟ ..

الفتى : لا أرى لك إلا اتباعى ،

الفتاة : [منتحبة] : ويلاه ، ماذا أصنع ؟ (تفكر - كيف السبيل إلى هذا الدين ؟

الفتى : هما كلمتان خفيفتان على اللسان ثقيلتان فى الميزان .

الفتاة : وما هما ؟

الفتى : أن تقولى لا إله إلا الله ، محمد رسول الله .

الفتاة : أتريد أن تجعل الآلهة إلهاً واحداً إن أمرك لعجب .

أتريد أن أسلخ اللات والعزى من عنقى إن هذا لشيء عجاب [تفكّر]

أرايتك إن تابعتك على أمرك ثم أظهرك الله أيتم زواجنا ؟

الفتى : الامر يومئذ لله ، يضعه حيث يشاء ،

أفلا تجاسى لأتلو عليكم ما تلاه محمد علينا من قول الله تعالى .

(يجاسان)

قال تعالى « قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون ، ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتي هي أحسن حتى يبلغ أشده وأوفوا الكيل والميزان بالقسط لا نكلف نفساً إلا وسعها وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ، وأن هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون »

الفتاة : والله ما هذا بسحر ولا شعر ، ولا بقول بشر ، والله إن له لحلاوة ، وإن عليه لطلاوة ؛ أدناه مغدق ، وأعلاه موريق ، وما هو من أساطير الأولين ؛ ولا هو من همزات الشياطين ، أي كلام هذا ؟

الفتى : هذا هو القرآن الكريم كتاب الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم .

الفتاة : أو نزل هذا على محمد ؟

الفتى : نعم .

الفتاة : فكيف الدخول في دينكم ؟

الفتى : تغتسلين فتطهرين وتطهرى ثوبك ثم تشهدى أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله .

الفتاة : والله لا فعلن . . . أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله .

الفتى : الله أكبر ، الله أكبر .

الشيطان [هامساً] : يا للدهية ،

- الفتاة : وهل بقي شيء آخر ؟
- الفتى : أجل ، ان للإسلام قواعد وهى الصلاة والصيام والزكاة والحج
- الفتاة : وكيف أؤديها ؟
- الفتى : سأعلمها لك فى وقت قريب .
- الفتاة : [تخرج مهرولة وهى تعدو] : الحمد لله الذى هدانى إلى هذا .
- الفتى : الى الله تعدو بين مشى وواحد
- ودين رسول الله بالحق دينها



الفصل الرابع

[الكعبة المطهرة عارية من الاصنام وقد وقف بعيداً عنها جماعة
الشياطين وفيهم رئيسهم إبليس وهم جميعاً يبكون ويلطمون
وهم ينددون]

جاء دين الهدى رغم دين الضلال وجنينا الردى بعد طول النضال

✧ ✧

ليس يجدى العناد للقضاء المتاح قد أردنا الفساد وأراد الصلاح
فليكن ما أراد قد وضعنا السلاح وقبضنا اليدا عن فنون النزال

✧ ✧

إبليس : يا معشر الشياطين .

الشياطين : لبيك وسعديك .

إبليس : قد رأيتم ما حل بكم وبمملكتكم فقد انهدمت جهنم او كادت وأصبحت كأن لم
تكن وقد حطم محمد آلهة القوم بالامس فأصبحوا كأن لم يكن لهم المجد
والسؤدد في هذا البلد .

وقد أصبحت قريش والامة العربية بأسرها تلك الامة المشركة الضالة مؤمنة
قائمة لله بعد ان كانت لا تعرف الا الغنى والبغى والا الظلم وسفك الدماء .
نعم آمنت الامة العربية بمحمد وانتصر حق الله على باطلنا ولم يبق لنا
مقام في هذه الجزيرة .

ولست آسف لاننا قصرنا في سعيينا او اهملنا فيما كان يجب علينا فقد
ابلىنا اشد البلاء واحسنه في محاربة هذا النبي
ولكن الله متم دينه ولو كره الكافرون]

نعم قد أبلينا بلاء حسنا في حرب محمدؐ فأغرى بنا به قومه حتى آذوه وآذوا أصحابه واضطروهم إلى الهجرة فهاجروا وحرضنا القوم على أن يقتلوا محمدا قبل أن يخرج من بين أظهرهم فاستجابوا لنا واجتمعوا بأزاء بابه ليقتلوه ولكن الله أعمى أبصارنا وأبصارهم فخرج محمد من بيته ووضع التراب على رؤوس القوم وهم غافلون ونحن أشد غفلة منهم ثم نجا مع صاحبه إلى يثرب .

هنالك وثقنا بالخبيثة وأيقنا بالنشل ولكننا جاهدنا جهاداً شديداً وأوقعنا في نفوس القوم حب الحرب فكانت بينهم وبين محمد حروب كثيرة لم يفوزوا فيها بشيء ما وقد اضر منا على محمد نيران الحرب جميعاً فلم نفلح بل انتصر على كل أعدائه وكنا كمن يسعى إلى حتفه بظلفه وكان من جميع هذه الحروب قوة لمحمد مكنته من أن يجمع العرب الذين كانوا أعداء ويأتى بهم إلى هذا البلد فيدخله عنوة ويكسر الأصنام والآلهة وقد أسلم معه جميع قريش وفيهم أبوسفیان ذلك الذى كنا لا نعتمد إلا عليه وكأنى بكم الآن وقد رأيتم قوة سماوية فرقتكم أيدي سبا وحيل بينكم وبينى فان مما لا شك فيه أن الله لا يقبل مقامنا في هذه البلاد التى آمن أهلها فأمنوا مكرنا ورددنا عن مقاعدنا من السماء فما لنا فى استراق السمع من سبيل .

فليذهب كل منكم لعمله فى غير هذه البلاد فان المسلمين قليلون ولديكم بلاد فارس والروم ومصر وغيرها من مدن الدنيا .
اشعلوا فى نفوسهم نار الشر واحذروا أن يغلبكم عليهم محمد كما غلبكم هنا .

الشیطان : [ذوالانیاب] وأنت أين تكون يا مولای الرئيس ؟

ابلیس : إنى سأتبقى هنا لعلی أستطیع أن أحدث فى نفوس القوم شیئاً من الحوادث وأوقع بينهم الفرقة وإذا كان شیء من ذلك فسأدعوكم فتستجیبون لی .

الشياطين : نرجو أن توفق
ابليس : أرجو ذلك .

[يخرجون وهم يلشدون بصوت الحزين]

جددوا العزم ولا تطمئنوا للكسل
رب ساع فشل ثم وافاه الأمل



إن يكن عم الهدى فسيمحوه الضلال
وسنابق السودا بافانين المحال
فهبوا الشر يدا منكم ذات نوال
وأجيدوا العملا مصدر النجع العمل

ابليس : [وحده] : جاء نبي الاميين وبلغ الكتاب أجله ألا إن احمد قد نبي
نعم ان مهمتي عظيمة جداً فإني احاول ان اهدم بناء قد ثبت الله اساسه
وقديماً كانت هذه حيلتي في افساد الأديان والشرائع .

ولئن كان هناك ذنب لي سأخلد من أجله في النار فهو هذا الذنب، أجل
قد امهاني الله كثيراً وما أظنه إلا سيمهني في هذه ايضاً فإن يوم الدين
الذي أنظرت به لم يأت بعد وإن يأتى الا بعد زمن طويل فلأنتهز الفرصة
ولكن كيف يكون الوصول الى غايتي ؟

انى ازعم أنى رئيس المكرة وزعيم الشياطين ومدبر الفساد فى الارض
فلأعمل اذا كرتى وقوتى لأختراع حيلة تؤدى إلى الغاية فى وقت قريب .

[ثم يمشى مفكراً . ثم يرفع رأسه باسمًا مبتهجاً . . .]

الآن قد وضحت السبل فإلى لا أغرس فى نفوس أفراد من الذين
آمنوا بمحمد حب الحسد والمنافسة واحبب اليهم ادعاء النبوة وأنهم شركاء
محمد فى الامر والقوم حديثو عهد بالدين وهم أولو عصبية لأبنائهم .
نعم هذه فكرة صائبة فلأوجه أعوانى الى أفراد من قبائل العرب

ولأتوجه أنا إلى من ستكون له الحكمة العليا ولأني أرجو أن اصل في وقت قريب إلى ما نريد ونشتهى .

[وهنا يصفر صغيراً مزعجاً فيتقاطر عليه أفراد الشياطين من كل صوب بصور مختلفة ولكنها بشعة]

الشياطين : لييك ، هل اهتديت إلى طريق تخلصنا من هذا السوء ؟

ابليس : نعم فاسمعوا وأطيعوا

[يشير إلى أحدهم فيتقدم إليه]

تذهب إلى الجزيرة فتنزل في بني تغلب وهم نصارى لم يسلموا إلى الآن وهناك امرأة موسوسة يقال لها سجاح بنت الحارث بن سويد فضع في قلبها حب النبوة ولا تدعها حتى تظهر دعوتها وتأتى بجيش من قومها وأولى عصبيتها لتغزو المدينة ^(١)

(١) من قرآن سجاح قولها : اعدوا الركاب ، واستعدوا للنهاب ، ثم أغبروا على الرباب ، فليس دونهم حجاب ، ومن قرآن مسيلة : المندرات زرعاً ، والحاصدات حصداً ، والذاريات قمحاً والطاحنات طحناً ، والعاجنات عجنناً ، والخابزات خبزاً ، والثارذات ثرداً ، واللاقحات لقحاً ، اهالة وسمناً ، لقد فضلتم على أهل الوبر وما سبقتمكم أهل المدو ، ريفكم فامنعوه ، والمعشر فآووه والباغي فئاوئوه : ثم قوله : القيل ما القيل ، وما ادراك ما القيل ، له ذنب وييل وخرطوم طويل ثم قوله في الضفدع : يا ضفدع بنت ضفدعين ، نقى ما تنقين ، نصفك في الماء ونصفك في الطين ، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين . هذا وقد طلب مسيلة الكذاب من الرسول صلوات الله عليه في حياته أن يشاركه في النبوة وأن يقتسم السلطة معه فكتب : من مسيلة رسول الله إلى محمد رسول الله أما بعد : فإني أشركت في الأمر معك وأن لنا نصف الأرض ولقريش نصف الأرض ولكن قریشاً قوم يعتدون فكتب إليه الرسول : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد رسول الله إلى مسيلة الكذاب : السلام على من اتبع الهدى أما بعد فإن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده والعاقبة للمتقين .

أحد الشياطين: انها فكرة جميلة

ابليس : [يشير إلى آخر . .]

وتذهب أنت إلى بلاد بني أسد فتجد هناك رجلاً مشعوذاً يقال له طليحة بن خويلد الأسدي فالزمه ووسوس له وانطق على لسانه بالاسباح وأظهر على يديه الأعاجيب حتى يدعى النبوة ويؤمن به قومه ويلتقنوا على المسلمين .

الشيطان : نعم الرأي

ابليس : [يشير إلى آخر . .] أما أنت فإذهب إلى عهلة بن كعب المعروف بالأسود العنسي وحبب إليه أن يصطنع النبوة .

[يشير إلى آخر . .] أما أنت فإذهب إلى بني تميم وحبب إليهم الكفر بعد الإيمان وبين لهم أن دفع الزكاة ذلة لا يرضى بها الحر الأبى، ولا تدعهم حتى يمتنعوا عن أداء الصدقة .

الشياطين : إنه لتدبير جميل

ابليس : [يشير إلى آخر .]

أما أنت فإذهب إلى عبد القيس في بلاد البحرين وانتظر موت محمد فاذا مات فضع في نفوس القوم أنه كاذب لأنه لو كان نبياً لم يمت ، ولا تدعهم حتى يكفروا بعد إيمانهم .

[الشياطين جميعاً يرقصون ويصفقون وتكون لهم جلبة . . .]

أحد الشياطين: إذا فسيرجع لنا المجد والعظمة وسنكون أهل القوة والسلطان واني لأرجو أن لا يمضى زمن حتى تعود الآلهة إلى مكانها في الكعبة .

ابليس : نرجو جميعاً ذلك فليذهب كل منكم إلى حيث أمر .

بعض الشياطين: إنك لم تأمرنا بشيء ما !!

ابليس : قد وضعت لكم أساس الفكرة ، فعليكم أن تروجوها بكل قواكم ، وإذا

استطاع أحدكم أن يذهب إلى المدينة ويبتظر انتفاض العرب على المسلمين
فينصح لهم عند ذلك بأن لا يحاربوهم فليفعل .

ولإذا استطاع آخر أن يذهب إلى اليهود فيحرضهم على إيقاع الفتن
والدسائس بين المسلمين فذلك خير ولكن اكفوني شر هؤلاء الاحبار من
اليهود والنصارى فقد أخذوا يفقهون التوراة والإنجيل فاملأوا قلوبهم زيناً
وعقو لهم ضاللاً .

أما أنا فساذهب إلى رجل سيكون على المسلمين شراً شديداً الوقع ، وهو
مسيلة الخنق ، فأنكم تعلمون سخف عقله وكثرة ما عنده من مال ورجال
ومن عدد وعدد

[الشياطين جميعاً] لله در رئيسنا .

[ثم يضحكون ويرقصون وهم يلشدون] .

من هذا الدين	من يد الفساد
هل له معين	من أولى الرشاد
نحن بعد حين	سادة البلاد
سوف نستعيد	عزة الأوثان

✱ ✱

فليدم	إبليس	مصدر الشرور
نصحته	تدليس	وهده
أيها	الرئيس	إننا حضور
مها	تريد	كلنا شيطان

[هنا يتفرق الشياطين ، ويدخل جماعة من الناس في أزياء عربية بين رجال ونساء وهم يرفعون أصواتهم بذكر الله تعالى فيطوفون بالكعبة أشواطاً ثم يجلسون]

أحد الجماعة : الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

آخر : نعم لقد هدانا الله جل علاه بفضله إلى رضاه وأوقع في قلوبنا حب طاعته بعد أن كاد يهلكنا الشرك ، ويقضى علينا الإثم والفجور .

وقد مكرنا برسول الله صلى الله عليه وسلم مكرأ شديداً ، فأذينا وأخرجناه من دياره وشردنا أصحابه كل مشرد ولولا أن من الله تعالى علينا بالهدى لكننا الآن من أصحاب السعير .

آخر : ما أسمع هذا الدين واجمله أيها القوم فقد كنا نجد الشرك شقاقاً وعنتاً فأصبحنا الآن وقد برأ الله نفوسنا من كل غي ، وطهر قلوبنا من كل رجس ، وغرس فينا الفضائل .

فمن منا الذي يستطيع الآن أن يتعصب لغير الحق أو يغضب لغير الله ؟ قد كنا غلاة في حب أنفسنا فأصبحنا الآن نؤثر عليها حتى إن أحدنا ليقول لصاحبه اختر أحد زوجاتي فاطلقها لك ، وكنا غلاظ الأكباد قساة القلوب لا نعرف العفو ولا نطمئن إليه ؛ فأصبحنا الآن رفاق القلوب رحماء حتى إن أحدنا لا يعرف الانتقام ويكاد يلسى اسمه ، مطمئنين بوعده الله شغلنا الشاغل في عبادة الله ، طامنين مرضاة الله ، صابرين على الشدائد ، راضين بالقضاء خيره وشره .

كل هذا إنما تعلمناه من سماحة هذا الدين الكريم وبشاشته ، وبما اتصف به رسول الله صلى الله عليه وسلم من الفضائل ومكارم الأخلاق فقد بعث محمد صلوات الله عليه إلى الناس كافة بشيراً ونذيراً وداعياً إلى الله بإذنه وسراجاً منيراً ، وبني هذا الدين القيم على خمس شهادة أن لا إله إلا الله

وإن محمداً رسول الله وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة وصوم رمضان؛ وحج البيت لمن استطاع إليه سبيلاً .

هذه الخمس هي لب الدين ودستوره القوي المتين فشهادة أن لا إله إلا الله أساس العقيدة إذ هي إقرار بوحداية مبدع الكائنات واعتراف بعظمته وقدرته ، وفي شهادة أن محمد رسول الله إشادة بتلك الرحمة المهداة إلى الوجود وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين وفي إقامة الصلاة صلة متينة بين العبد وخالقه إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر والبغى ، ورابطة روحية بين جميع المسلمين ، وفي إيتاء الزكاة إصلاح المجتمع وإحكام الروابط بين الطبقات وترفيه عن البائس والمحروم ، وفي صوم رمضان تزكية للنفس وصحة للبدن وأن تصوموا خير لكم إن كنتم تعلمون وعظة سامية لأرباب الترف والنعيم ، وفي حج البيت إحياء بموقف الناس يوم الفزع الأكبر ومظهر رائع من مظاهر الوحدة الإسلامية وجمع لشتات المسلمين .

الرجل : ليس بنا من تعجب حين نسمع خبره صلى الله عليه وسلم مع كعب بن زهير بن أبي سلمى (١) فهل بلغكم ذلك .. ؟
أحد القوم : هات

الرجل : لما فتحت مكة أسلم أهلها وخرج بجير وكعب ابنا زهير الى ابرق وهو ماء لبني أسد فلما كانا في الطريق تذكرنا أن أباهما قد كان حدثهما أن سيكون للسماء خبر فقال بجير لأخيه كعب اثبت في الغنم هنا حتى آتى هذا الرجل

(١) انعقد اجماع الرواة على أن كعبا أحد الفحول المجودين في الشعر ويصفون شعره بقوة التماسك وجزالة اللفظ وسمو المعنى والمعروف عن كعب أنه قال الشعر وهو صغير وكان أبوه ينهيه ويضربه مخافة أن يكون لم يستحكم شعره . عنه ابن سلام في الطبقة الثانية ولد في الجاهلية واسلم وامتد به العمر حتى زمن معاوية .

(يريد النبي صلى الله عليه وسلم) فأسمع كلامه ، وأعرف ما عنده ، هل هو مما يستباح ويلوح صدقه ، فأتبعه أم لا فأتركه فأقام كعب ومضى بحير ، ولما وصل إلى الرسول وسمع كلامه آمن به وأسلم ولما اتصل خبر اسلام بحير بأخيه كعب أغضبه ذلك وكتب إليه بهذه الآيات :

ألا ابْلِغَا عني بحيرا رسالة فهل لك فيما قلت ويحك هل لك
سقاك بها المأمون^(١) كأسأروية فأتهلك المأمون منها وعلمك
ففارقت أسباب الهدى وأتبعته على أى شيء ويب^(٢) غيرك دالكا
على مذهب لم تلف أما ولا أبأ عليه ولم تعرف عليه اخا لكا
وأرسل بها إلى بحير ، فلما وقف عليها أخبر بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ولما سمع الرسول قوله سقاك بها المأمون قال مأمون والله ثم قال من لقي منكم كعب بن زهير فليقتله فكتب إليه أخوه بحير بهذه الآيات :

من مبلغ كعبا فهل لك في التي تلوم عليها باطلا وهي أحزم
إلى الله لا العزى ولا اللات وحده فتتنجو إذا كان النجاء وتسلم
لدى يوم لا ينجو وليس بمفلت من الناس الا طاهر القلب مسلم
فدين زهير وهو لا شيء دينه ودين أبى سلى على محرم

وذيها بقوله إن رسول الله قد أهدر دمك فإن كان لك في نفسك حاجة فصر إليه فإنه يقبل من جاءه تائباً ولا يطالبه بما عمله قبل الاسلام ، فلما ابْلغَ الكتاب كعبا فر إلى قبيلة مزينة لتجيره فأبت عليه ذلك وضاعت عليه الأرض بما رحبت ، واشفق على نفسه وارجف به أعداؤه فقال هذه القصيدة ثم خرج حتى قدم المدينة ونزل على كرم الله وجهه ؛ فأتى به إلى المسجد ، وقال هذا رسول الله فقم إليه واستأمنه ؛ فقام إليه حتى جلس

(١) المأمون ، كانت قریش تسمى النبي صلوات الله عليه المأمون والامين .

(٢) ويب : كلمة مثل ويل .

بين يديه فوضع يده في يده قائلاً يا رسول الله : ما تقول في كعب إذا جاء
تائباً إليك مسلماً ، فقال : أقول إنه مسلم معصوم الدم والنفس قال أتعفو
عنه ؟ قال نعم .

فرفع لثامه وقال ها أنذا كعب يا رسول الله فقال عليه السلام الذي يقول
ما يقول ثم أقبل على أبي بكر فاستنشد الشعر فأنشده أبو بكر .
سقاك بها المأمون كأساً روية فأنهلك المأمون منها وعلكا
فقال كعب لم اقل هذا وإنما قلت .

سقاك أبو بكر بكأس روية فأنهلك المأمون منها وعلكا
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم مأمون والله ، ووئب اليه رجل
من الأنصار فقال دعني وعدو الله اضرب عنقه ، فقال له الرسول دعه
عنك فإنه قد جاءنا تائباً نازعاً ، ولما انشد قوله .

إن الرسول لنور يستضاء به وصارم من سيوف الله مسلول
خلع عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بردته الشريفة فأراد معاوية
شراها منه فقال ما كنت لاوثر بثوب رسول الله احداً ، ولكن معاوية ما
زال به حتى اشتراها منه بأربعين ألف دينار ،

ولما أتم كعب انشاد قصيدته قال له الرسول عليه الصلاة والسلام ،
ألا ذكرت الأنصار بخير ، فأنهم لذلك أهل ، فمدحهم بقصيدة أخرى قال
في مطلعها .

من سره كرم الحياة فلا يزل في مقنب من صالح الأنصار
ورثوا المسكارم كابراً عن كابر إن الخيار هم بنو الأخيار

آخر : فهلا أتممت المنة علينا بأشادها .

الرجل : نعم ان استماع هذه القصيدة محبوب فقد سمعها الرسول عليه السلام

وحازت لديه القبول وكانت سبباً في نجاة ناظمها من القتل .

أحد القوم : هات

الرجل : وإذا أحسنت الانشاد ؟

أحد القوم : أخلع عليك بردى هذه تشبها بما فعل الرسول صلوات الله عليه .

الرجل : (يثشد) :

بانث (١) سعاد (٢) فقلبي اليوم متبول (٣)

متيم (٤) اثرها (٥) لم يفد مكبول (٦)

وما سعاد غداة البين إذ رحلوا

إلا اغن (٧) غضيض الطرف مكحول (٨)

هيفاء (٩) مقبلة عجزاء مدبرة

لا يشتكى قصر منها ولا طول

تجلو عوارض ذى ظلم إذا ابتسمت

كأنه منهل (١٠) بالراح معلول (١١)

شجت (١٢) بذى شيم من ماء محنية (١٣)

صاف بابطح أضحي وهو مشمول (١٤)

(١) بانث فارقت (٢) سعاد علم مرتجل يريد به امرأة يهواها حقيقة أو خيالاً (٣) متبول

سقيم (٤) متيم . ذليل (٥) اثرها محل الشئ وموضع التمدد من الارض (٦) مكبول ، مقيد

(٧) بمعنى مفضوض (٨) مكحول من السكحول من غير اكتحال .

(٩) هيفاء ضامرة البطن رقيقة الخصر المعنى محبوبتى ضامرة البطن رقيقة الخصر ان اقبلت

عظيمة العجز أن أدبرت كأنها ظبية قد جل خالفها (١٠) المنهل الشرب الاول والراح الخرة .

(١١) العلل الشرب الثانى . (١٢) شجت مزجت . (١٣) محنية ما انعطفت من الوادى وهو اسم مكان .

(١٤) المشمول الذى ضربته ريح الشمال حتى برد والمعنى ان تلك الراح قد مزجت بمام بارد مأخوذ

من متعطف الوادى صاف فى مسيل واسع فيه دقاق الحصى وكأن أخذته وقت الضحى بعد أن ضربته

ريح الشمال ليكون عذاباً بارداً .

تنفى الرياح القذى عنه وافرطه (١)
 من صوب (٢) سارية (٣) بيض (٤) يعاليل (٥)
 اكرم بها خلة (٦) لو انها صدقت
 موعودها أولوان النصح مقبول
 لكنها خلة قد سيط (٧) من دمها
 فجـع وولع واخلاف وتبديل
 فما تدوم على حال تكون بها
 كما تلون في أثوابها الغول (٨)
 ولا تمسك بالعهد الذى زعمت
 الا كما يمسك الماء الغراييل
 فلا يغرنك ما مننت وما وعدت
 ان الامانى والاحلام تضليل
 كانت مواعيد عرقوب (٩) لها مثلاً
 وما مواعيدها إلا الاباطيل
 أرجو وآمل أن تدنو مودتها
 وما إخال لدينا منك تنويل (١٠)

(١) وافرطه ملاءه حتى أسال الماء أو فاض (٢) والصوب المطر (٣) والسارية السحابة تأتي ليلاً
 (٤) بيض ضد الاسود وجبل بمكة (٥) يعاليل وهو السحاب الابيض والمطر بعد المطر والمراد بالبيض
 اليعاليل الجبال الشديدة البياض (٦) والخلة هنا الصديقة والمعنى ما أكرم سعاد من حيث أنها صديقة
 وأصيلة ولو أنها صدقت في وعدها ووفت بعهدها وقبلت نصح خليلها لكانت على أتم الخلال .
 (٧) سيط خلط (٨) الغول المراد منه الواحدة من السعالى وهى أناث الشياطين والغول فى الواقع شيء
 يخوف به ولا وجود له فى الخارج قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا طيرة ولا نوء ولا غول
 (٩) عرقوب المذكور هو ابن معبد بن زهير أحد بنى عبد شمس بن ثعلبة أو عرقوب بن صخر وقد
 اشتهر باخلاف الوعد: نزل بالمدينة قبل أن ينزلها اليهود وكان صاحب نخل وانه وعد صديقاً له تمر نخلة
 من نخله فلما حلت وصارت بلحاً أراد الرجل أن يصرمه فقال عرقوب دعه حتى يحمر أو يصفر فلما
 شقحت أراد الرجل أن يصرمها فقال عرقوب له دعه حتى تصير رطباً فلما صارت رطباً قال دعه
 حتى تصير تمرأ فلما صارت تمرأ انطلق إليه عرقوب فجلبه ليلاً فجاء الرجل بعد أيام فلم ير إلا عوداً
 قائماً فذهب وعود عرقوب مثلاً (١٠) تنويل عطاء والمراد هنا الوصل

أُمسّت سعاد بأرض لا يبلغها
إلا العتاق^(١) النجيات^(٢) المراسيل^(٣)
ولن يبلغها إلا عذافرة^(٤)
لها على الين^(٥) إرقال^(٦) وتبغيل^(٧)
من كل نضاخة^(٨) الذفري^(٩) إذا عرقت
عرضتها طامس الاعلام مجهول
ترى الغيوب^(١٠) بعين مفرد لهُق^(١١)
إذا توقدت^(١٢) الحزاز^(١٣) والميل
ضخم مقلدها فعم مقيدها
في خلقها عن بنات الفحل تفضيل
غلباء^(١٤) وجناء^(١٥) علىكوم^(١٦) مذكرة
في دفها سعة قدامها ميل

(١) العتاق الكرام جمع عتيق سميت بذلك لأنها عتقت من العيوب (٢) والنجيات السريعات في السير
(٣) المراسيل السريعات في المشي فيكون تأكيذاً للنجيات والمعنى أن سعاداً صارت بأرض بعيدة
لا يوصل إليها إلا الأبل الكرام السريعة السير .
(٤) العذافرة الناقة الصلبة العظيمة (٥) الين الأعياء والنعب (٦) الأرقال مسرعة وناقة مرقال
مسرعة (٧) التبغيل ضرب من السير فوق الخبب ودون الأرقال (٨) نضاخة كثيرة السيالان يقال عين
نضاخة إذا كانت كثيرة الماء فوارة (٩) الذفري النقرة خلف اذن الناقة والبعر وهو أول ما يعرق
منها (١٠) الغيوب كل ما غاب عنك وهو هنا آثار الطريق التي غابت معالمها (١١) لهُق وهو الثور الأبيض
(١٢) وتوقدت التمهت والمراد به اشتداد الحر (١٣) الحزاز الامكنة الغليظة والمعنى ان هذه الناقة
جيدة النظر فتبصر ما غاب من آثار الطريق بعينها الشبيهتين بعين الثور الوحشي الأبيض الفاقد
لأنثاء وقت اشتداد الحر (١٤) غلباء غليظة العنق (١٥) وجناء عظيمة الوجنتين (١٦) علىكوم
الشديدة من الأبل وغيرها

وجلدتها من أطوم (١) لا يؤيسه (٢)
طالح (٣) بضاحية المتن مهزول
حرف اخوها أبوها من مهجنة (٤)
وعسها خالها قوداء (٥) شمليل (٦)
يمشى القراد (٧) عليها ثم يزلقه (٨)
منها لبان (٩) وأقرب (١٠) زهاليل (١١)
عيرانة (١٢) قذفت بالنحض (١٣) عن عرض
مرفقها عن بنات الزور مفتول
كأما فات عينيها ومنجها
من خطمها ومن اللحيين برطيل (١٤)
تمر مثل عسيب (١٥) النخل ذا خصل
في غارز (١٦) لم تخونه الاحاليل (١٧)

(١) أطوم سلحفاة بحرية غليظه الجلد (٢) ويؤيسه يذله (٣) وطالح قراد وضاحية بارزة للشمس والمتن ثنية متن وهو الظهر (٤) مهجنة منسوبة إلى الهجان وهي كرائم الابل (٥) قوداء طويلة الظهر والعنق (٦) شمليل سريعة (٧) القراد حشرة معروفة (٨) يزلقه يبعده (٩) لبان ما بين الشدين (١٠) وأقرب خواصر (١١) زهاليل ملس جمع زهلول (١٢) العيرانة الناجية (١٣) النحض كاللحم وذنأ ومعنى (١٤) برطيل المعول من الحديد أو الحجر والتشبيه بالاول في القوة وبالثاني في الاستطالة (١٥) عسيب النخل جريده (١٦) غارز من غرزت الناقة قل لبها (١٧) الاحاليل مخارج اللبن

قنواء^(١) في حرتها للبصير بها
عنق مبين وفي الخدين تسهيل
تخدى^(٢) على يسرات^(٣) وهى لاحقة
ذوابل^(٤) مسمن الأرض تحليل^(٥)
سمر العجايات^(٦) يتركّن الحصا زيم^(٧)
لم يقن رؤوس الآكم^(٨) تنعيل^(٩)
كأن أوب^(١٠) ذراعيها إذا عرقت
وقد تلفع بالقور^(١١) العساquil^(١٢)
يوما يظل به الحرباء^(١٣) مصطخدا^(١٤)
كأن ضاحية بالشمس مملول^(١٥)
وقال للقوم حاديههم وقد جعلت
ورق الجنادب^(١٦) يركضن الحصا قيلول^(١٧)

(١) قنواء محدود به الانف تسهيل المراد أن خديها اسيلان لارتفاع فيها .
(٢) تخدى تسرع (٣) يسرات قوائم خفاف (٤) ذوابل الرماح الصلبة اليابسة أى قوائمها كالرماح
الميته (٥) تحليل وهو الفعل اليسير (٦) العجايات الأعصاب (٧) زيم متفرقا (٨) الآكم الروابي المرتفعة .
(٩) تنعيل شد النعل على خف البعير (١٠) أوب سرعة تقلب اليدين والرجلين في السير (١١) القور
الجبل الصغير (١٢) العساquil السراب (١٣) الحرباء حيوان يرى له سنام كسنام الأبل يستقبل الشمس
ويدور معها كمنها دارت ويتلون بالوان كثيرة
(١٤) مصطخدا مخترقا بحر الشمس (١٥) مملول الرماد الحار أو الحفرة نفسها من هذا الرماد
والمعنى أن الآكام تلفعت بالسراب في يوم يظل فيه الحرباء مخترقا بحر الشمس كان البارز لها
(١٦) الجنادب : الجراد الصغير (١٧) قيلولوا : استريحوا .

شد (١) النهار ذراعا عيطل (٢) نصف
 قامت فجأوبها نكد (٣) مثاكيل (٤)
 نواحة رخوة الضبعين (٥) ليس لها
 لما نعى بكرها الناعون معقول (٦)
 تفرى (٧) اللبان (٨) بكفها ومدرعها
 مشقق عن تراقبها رعايل
 تسعى الوشاة جنابها (٩) وقولهم
 إنك يا ابن أبي سلى لمقتول
 وقال كل خليل كنت آمله
 لا ألهينك إني عنك مشغول
 فقلت خلوا سبيلي لا أبالكُم
 فكل ما قدر الرحمن مفعول
 كل ابن اثى وإن طالت سلامته
 يوما على آلة (١٠) حذاء محمول

(١) شد النهار ارتفاعه أى ما بين طلوع الشمس إلى غروبها (٢) العيطل الطويلة العنق فى حسن جسم (٣) النكد جمع نكد وهى التى لا يعيش لها ولد (٤) والمثاكيل جمع مثكال كثيرة الشكل وهو فقدان المرأة ولدها أو التى مات لها أولاد كثيرة (٥) الضبعين تنبيه ضبع وهو العضد (٦) معقول أى عقل (٧) تفرى تشقق من فراء شقه (٨) اللبان الصدر (٩) جنابها تنبيه جناب فناء الشئ والمعنى تسعى الوشاة بينى وبين محبوبتى سعاد بما يضاعف همومى قائلين لا مفر لك فقد أهدر المصطفى دمك يا ابن أبى سلى فلا أمل فى وصال من تحبها (١٠) آلة سرير المبيت ، حذاء صعبة أو مرتفعة .

انبئت ان رسول الله أوعدنى
والعفو عند رسول الله مأمول^(١)
مهلا هداك الذى أعطاك نافلة الـ
قرآن فيها مواعيط وتفصيل
لا تأخذنى بأقوال الوشاة ولم
اذنب وان كثرت فى الأقاويل
لقد أقوم مقاما لو يقوم به
أرى واسمع ما لو يسمع القليل
لظل يرعد إلا ان تكون له
من الرسول باذن الله تنويل^(٢)
حتى وضعت يمينى لا أنازعه
فى كف ذى نعمات قبله القليل
لذلك اهيب عندى اذ أكله
وقيل انك منسوب ومسئول
من خادر^(٣) من ليوث الاسد مسكنه
من بطن عثر^(٤) غيل^(٥) دونه غيل
يغدو فيلحم ضرغامين عيشهما
لحم من القوم معفور^(٦) خراذيل^(٧)
اذا يساور قرنا لا يحل له
ان يترك القرن الا وهو مجدول^(٨)
منه تظلل سباع الجو ضامرة
ولا تمشى بواديه الاراجيل^(٩)

(١) روى انه عليه السلام لما سمع هذا البيت قال العفو عند الله مأمول اشارة إلى أن اصله من عند الله (٢) تنويل تأمين (٣) اسد داخل فى خدره (٤) عثر : مأسدة بأرض الين تسكثر فيها : السباع (٥) وغيل مأوى الاسد (٦) معفور ملقى فى التراب (٧) خراذيل قطع صغيرة (٨) مجدول ملقى على الجذالة وهى الارض (٩) الاراجيل جمع رجل وهو ضد الفارس

ولا يزال بواديه اخو ثقة
 مطرح البر والدرسان مأكول
 ان الرسول لنور يستضاء به
 وصادم من سيوف الله مسلول
 في فتية من قريش قال قائلهم^(١)
 يبطن مكة لما أسلموا زولوا^(٢)
 زالوا فما زال انكاس^(٣) ولا كشف^(٤)
 عند اللقاء ولا ميل^(٥) معازيل^(٦)
 شم^(٧) العرائن أبطال لبوسهم
 من نسج داود في الهيجا سرايل^(٨)
 بيض سوابغ قد شكت لها حلق
 كأنها حلق القعفاء^(٩) مجدول
 لا يفرحون اذا نالت رماحهم
 قوما وليسوا مجازيعا إذا نيلوا
 يمشون مشى الجمال الزهر يعصمهم
 ضرب اذا عرّد^(١٠) السود التنايل^(١١)
 لا يقع الطعن إلا في نحورهم
 وما لهم عن حياض الموت تهليل^(١٢)

أحد القوم : لله در كعب بن زهير بن أبي سلمى
 آخر : والله در منشدها

(١) يقصد عمر بن الخطاب رضى الله عنه (٢) زولوا تحولوا وانتقلوا من مكة إلى المدينة
 (٣) انكاس ضعاف (٤) وكشف جمع أكشف الذى لا ترس معه (٥) ميل جمع أميل وهو الذى
 لا سيف معه (٦) معازيل جمع معزال وهو الذى لا رمح معه (٧) شم العرائن جمع أشم وهو الذى
 في قصبة أنفه علو مع استواء (٨) سرايل وهو الدرع والقميص (٩) القعفاء شجر ينسبط على وجه
 الارض (١٠) عرّد هرب (١١) التنايل القصار (١٢) تهليل تأخير : والمعنى أن أصحابه
 لا ينزفون فيقع الطعن في ظهورهم .

آخر : اغر عليه للنبوة خاتم
من الله من نور يلوح ويشهد
وضم الإله لاسم النبي إلى اسمه
إذا قال في الخمس المؤذن أشهد
وشق له من اسمه ليحمله
فدو العرش محمود وهذا محمد
نبي أتانا بعد يأس وفترة
من الرسل والأوثان في الأرض تعبد
فأمسى سراجا مستنيراً وهادياً
يلوح كما لاح الصقيل المهند
وأندرنا نارا وبشر جنة
وعلمنا الإسلام فآله نحمد
وأنت آله العرش ربى وخالقى
بذلك ما عمرت في الناس أشهد
تعاليت رب الناس عن قول من دعا
سواك آلهما أنت اعلا وأجود
لك الحمد والثناء والأمر كله
فأيّاك نستهدى وأيّاك نعبد
آخر : نبي كان يجلو الشك عنا
بما يوحى إليه وما يقول
ويهدينا فلا نخشى ضلالا
علينا والرسول لنا دليل
فلم نر مثله في الناس حيا
وليس له من الموتى بديل

آخر : اليك رسول الله خبت مطيتي
 تجوب الفيافي من عمان إلى العرج^(١)
 لتشفع لي يا خير من وطئ الحصا
 فيغفر لي ربي فارجع بالفالج
 إلى معشر جانب في الله دينهم
 فلا دينهم ديني ولا شرجهم شرجي
 وكنت امرأ باللهو والخمر مولعا
 شبابي إلى أن آذن الجسم بالهيج
 فبدلني بالخمر خوفا وخشية
 وبالعمر احصانا فحسن لي فرجي

آخر : اللهم صل على سيدنا محمد في النهار اذا تجلى وصل عليه في الآخرة والاولى
 وصل عليه شاباً زكياً وصل عليه كهلاً مرضياً وصل عليه منذ كان في المهد صبياً

آخر : اللهم صل على سيدنا محمد ما دارت الافلاك ودجت الاحلاك وسبحت
 الاملاك اللهم صل عليه ما طلعت الشمس وما صليت الخس وما تألق برق
 وتدفق ودق وما سبج رعد .

آخر : بمثل هذا الحديث تتعطر الأندية ، وإلى مثله تطمئن القلوب ، فالحمد لله على
 ما أسدى إلينا من نعمه وآلائه .

آخر : ألا تريدون أن أحدثكم ببعض ما سمعته من أحاديثه الشريفة من أمهات
 الحكم وجوامع الكلم ؟

القوم : لا بأس هات

الرجل : قال صلى الله عليه وسلم : اغزوا باسم الله في سبيل الله من كفر بالله ولا تغدروا
 ولا تضلوا ولا تقتلوا وليداً ولا امرأة ولا كبيراً فانياً ولا منعزلاً بصومعة
 ولا تحرقوا نخلاً ولا تقطعوا شجرة ولا تهدموا بناء . وقال : أحب الجهاد
 إلى الله ، كلمة الحق تقال لأمام جائر . وقال : لا تباغضوا ولا تحاسدوا

ولا تقاطعوا ، وكونوا عباد الله اخوانا ، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث وقال : إن الصدق يهدي إلى البر ، وإن البر يهدي إلى الجنة ، وإن الرجل ليصدق حتى يكتبه عند الله صديقاً ، وإن الكذب يهدي إلى الفجور وإن الفجور يهدي إلى النار ، وإن الرجل ليكذب حتى يكتبه عند الله كذاباً ، وقال : ثلاث من كن فيه آواه الله في كنفه ، وستر عليه برحمته ، وأدخله في محبته ، من إذا أعطى شكر ، وإذا قدر غفر ، وإذا غضب فتر ، وقال : رغم أنف ثم رغم أنف ، ثم رغم أنف ، من أدرك أبويه عند الكبر أحدهما أو كلاهما فلم يدخل الجنة ، وقال : خير الأصحاب عند الله تعالى ، خيرهم لصاحبه ، وخير الجيران عند الله تعالى خيرهم لجاره ، وقال : أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً ، وخياركم خياركم لنسائهم ، وقال : لو أمرت أحداً أن يسجد لأحد ، لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ، من عظم حقه عليها ولا تجد امرأة حلاوة الإيمان حتى تؤدي حق زوجها ، ولو سأها نفسها ، وهي على ظهر قتب ، وقال : لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن ، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن ، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن فإذا فعل ذلك فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه ، وقال : لعن الله الخمر وشاربها وساقها وبائعها ومبتاعها وعاصرها ومعتصرها وحاملها والمحمولة اليه وآكل ثمنها .

وقال اجتنبوا السبع الموبقات ، قالوا وما هن قال الشرك بالله ، والسحر وقتل النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق ، وأكل الربا ، وأكل مال اليتيم والتولى يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات .

وقال : إحفظ الله يحفظك ، إحفظ الله تجده تجاهك ، إذا سألت فاسأل الله ، وإذا استعنت فاستعن بالله ، وإعلم إن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشيء لم ينفعوك إلا بشيء قد كتبه الله لك وإن اجتمعوا على أن يضروك بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام وجفت الصحف .

وقال : من صام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، ومن قام رمضان إيماناً واحتساباً غفر له ما تقدم من ذنبه ، وقال : ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب إلى الله من إهراق الدم ، ولأنها لتأتي يوم القيامة بقرونها وأشعارها وأظلافها وأن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع على الأرض فطيبوا بها نفساً .

وقال : أبو سفيان سألت رسول الله فقلت : قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحد غيرك ، قال : قل آمنت بالله ثم استقم ، وقال : تسموا باسمي ولا تكونوا بكسيتي ، فاني أنا أبو القاسم .

وقال : فضلت على الأنبياء بست ، أعطيت جوامع الكلم ، ونصرت بالرعب ، وأحلت لي الغنائم ، وجعلت لي الأرض كلها مسجداً ، وتربتها طهوراً ، وأرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون .

وقال : أنا أول الناس خروجاً إذا بعثوا ؛ وأنا خطيبهم إذا وفدوا ، وأنا مبشرهم إذا أيسوا ، لواء الحمد يومئذ يدي ، وأنا أكرم ولد آدم على ربي ولا نحر .

قال : إذا كان يوم القيامة كنت أمام النبيين وخطيبهم وصاحب شفاعتهم غير نحر .

وقال : حياتي خير لكم ، تحدثون ويحدث لكم ، ووفاتي خير لكم تعرض على أعمالكم فما رأيت من خير حمدت الله ، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم .

وقال : يا فاطمة اعملي فاني لا أغني عنك من الله شيئاً .

وقال : من أفضل أيامكم يوم الجمعة ، فيه خلق آدم ، وفيه قبض ، وفيه النفخة ، وفيه الصمقة ، فأكثروا على من الصلاة فيه فإن صلاتكم معروضة عليّ .

وقال : اتقوا الظلم فإن الظلم ظلمات يوم القيامة ، واتقوا الشح ، فإن الشح أهلك من كان قبلكم ، حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم .

قال : ستكون فنن كقطع الليل المظلم قيل يا رسول الله فما المخرج منها ، قال كتاب الله تبارك وتعالى ، فيه نبأ من قبلكم ؛ وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، هو حبل الله المتين ، ونوره المبين ، وهو الذكر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذي لا تزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الالسة ، ولا تشعب منه الآراء ، ولا يشعب منه العلماء ، ولا يملأه الاتقياء من قال به صدق ، ومن حكم به عدل ، ومن عمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم .

قال أربع من كن فيه كان منافقاً ، إذا أُوْتِمن خان ، وإذا حدث كذب وإذا عاهد غدر ، وإذا خاصم فجر ، وقال لعلي : يا علي كن شجاعاً فإن الله عز وجل يحب الشجاع ، يا علي كن سخيّاً ، فإن الله عز وجل يحب السخيّ ، يا علي كن غيوراً فإن الله عز وجل يحب الغيور ، يا علي وإن سائل سألك حاجة ليس لها بأهل ، فكن أنت لها أهلاً .

وقال يا معشر الشباب من استطاع منكم الباءة فليتزوج ، ومن لم يستطع فعليه بالصوم ، فإنه له وجاء (قاطع لشهوته) وقال : إن من أعظم الإمانة عند الله ، الرجل يفضي إلى امرأته وتفضي إليه ثم لا ينشر سرهما ، وسئل عليه السلام : أي الأعمال أفضل ، فقال الصلاة لأول وقتها ، ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيل الله ، وقال : استعينوا على الرزق بالصدقة .

وقال عليه الصلاة والسلام : رفعت البركة عن خمسة ، عن الخائن ، والباغي ، والنماكت ، والحسود ، والحقود ، وقال : من آذى مؤمناً فقد آذاني ، ومن آذاني فقد آذى الله .

آخر : جاءت له الدنيا فاعرض زاهداً
ما جر أثواب الحرير ولا مشى
وبه الذي لو شاء نالت كفه
كل الذي فوق البسطة أجمعا
يبغى من الاخرى المكان الارتفاع
بالتاج من فوق الجبين مرصعا

آخر : لا تركنن إلى الثياب الفاخرة واذكر عظامك حين تسمى ناخرة
وإذا ذكرت زخارف الدنيا فقل لبيك ان العيش عيش الآخرة
آخر : عطرت مجلسنا هذا بالكثير من شجى كلامه وعذب مشوره فهلا عطرتة
ببعض خطبه ؟

الرجل : لك ما تريد وهاكم خطبة له عليه الصلاة والسلام قد وعت فاوعت قال :
أيها الناس أن لكم معالم فانتوها إلى معالمكم ، وأن لكم نهاية فانتوها
إلى نهايتكم ، إن المؤمن بين مخافتين ، بين عاجل قد مضى ، لا يدري ما الله
صانع به ، وبين آجل قد بقي لا يدري ما الله قاض فيه ، فليأخذ العبد من
نفسه لنفسه ، ومن دنياه لآخرته ، ومن الشيبه قبل الكبر ، ومن الحياة
قبل الموت ، فوالذي نفس محمد بيده ، ما بعد الموت من مستعيب ، ولا بعد
الدنيا من دار ، إلا الجنة أو النار .

ومن خطبة له عليه السلام : ألا أن الدنيا خضرة حلوة ألا وأن الله
مستخلفكم فيها فناظر كيف تعملون ، فاتقوا الدنيا ، واتقوا النساء ، ألا لا
يمنعن رجلا مخافة الناس أن يقول الحق إذا علمه .

ومن خطبة له عليه السلام : ألا أيها الناس توبوا إلى ربكم قبل أن
تموتوا ، وبادروا بالأعمال الصالحة قبل أن تشغلوا ، وصلوا الذي بينكم وبين
ربكم بكثرة ذكركم له وكثرة الصدقة في السر والعلانية ترزقوا وتتوجروا
وتتصروا واعلموا ان الله عز وجل قد افترض عليكم الجمعة في مقامى هذا
في عامى هذا ، في شهرى هذا ، إلى يوم القيامة ، حياتى ومن بعد موتى ، فمن
تركها وله أمام فلاجع الله شمله ، ولا بارك له في أمره ؛ ألا ولا حج له
ألا ولا صوم له ؛ ألا ولا صدقة له ؛ ألا ولا بر له ؛ ألا ولا يؤم اعرابى
مهاجراً ؛ ألا ولا يؤم فاجر مومنأ ، ألا أن يقهره سلطان يخاف سيفه
أو سوطه .

ومن خطبة له صلى الله عليه وسلم وهي خطبة الوداع .
 أيها الناس ، اسمعوا مني ابين لكم فاني لا أدري لعلى لا ألقاكم بعد عامي
 هذا ، في موقفي هذا ، أيها الناس : ان دماءكم واموالكم ، حرام عليكم إلى أن
 تلقوا ربكم كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا ، الا هل بلغت ؟
 اللهم فاشهد .

فمن كانت عنده امانة فليؤدها إلى من ائتمنه عليها ، وان ربا الجاهلية
 موضوع وان أول ربا ابدأ به ربا عيسى العباس بن عبد المطلب وان دماء
 الجاهلية موضوعة ، وان أول دم ابدأ به دم عامر بن ربيعة بن الحارث بن
 عبد المطلب ، وان مآثر الجاهلية موضوعة غير السدانة والسقاية والعمد قود
 وسبته العمدة ماقتل بالعصاء والحجر ، وفيه مائة بعير فمن زاد فهو من أهل
 الجاهلية ، أيها الناس : ، ان الشيطان قدئيس أن يعبد في ارضكم هذه ، ولكنه
 قد رضى أن يطاع فيما سوى ذلك مما تحقرون من اعمالكم ، أيها الناس :
 انما النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا ، يحلون ما يحرمونه عاما
 ليواطؤوا عدة ما حرم الله ، وأن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله
 السموات والأرض ، منها اربعة حرم ، ثلاثة متواليات ، وواحد فرد ، ذو
 القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب الذي بين جمادى وشعبان ، ألا هل بلغت ؟
 اللهم فاشهد ، .

أيها الناس : أن لنسائكم عليكم حقاً ، وانكم عليهن حق ، لكم عليهن أن
 لا يوطئن فرشكم غيركم ، ولا يدخلن أحد تكمهونه بيوتكم إلا بإذنكم ،
 ولا يأتين بفاحشة ، فان فعلمن ، فإن الله قد أذن لكم أن تعضلوهن وتهجروهن
 في المضاجع ؛ وتضربوهن ضرباً غير مبرح ، فان انتهين واطعنكم ، فعليكم
 رزقهن ، وكسوتهن ، بالمعروف وانما النساء عنكم عوان لا يملكن لانفسهن
 شيئاً ، أخذتموهن بامانة الله ، واستحللتم فروجهن بكلمة الله ، فاتقوا الله في
 النساء ، واستوصوا بهن خيراً ، الا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد أيها الناس : انما
 المؤمنون أخوة ، فلا يحل لامرئء مال أخيه إلا عن طيب نفس منه ، ألا هل

بلغت ؟ : اللهم فاشهد : فلا ترجعن بعدى كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض
فانى قد تركت فيكم ما أن أخذتم به لم تضلوا بعده ، كتاب الله وأهل
بيتي ، ألا هل بلغت ؟ اللهم فاشهد : أيها الناس : أن ربكم واحد ، وإن أباكم
واحد ، كلكم لأدم ، وآدم من تراب ، أكرمكم عند الله اتقاكم ، وليس
لعربي على عجمي فضل الا بالتقوى ، ألا هل بلغت ؟ : اللهم فاشهد : فليبلغ
الشاهد الغائب ، أيها الناس : إن الله قد قسم لكل وارث نصيبه من الميراث
ولا يجوز لو ارث وصية في أكثر من الثلث ، والولد للفراش ، وللعاهر الحجر
من ادعى إلى غير أبيه أو تول غير مواليه ، فعليه لعنة الله والملائكة والناس
أجمعين ولا يقبل منه صرف ولا عدل والسلام عليكم ورحمة الله .

ومن خطبة له يوم فتح مكة وقد وقف على باب الكعبة
لا اله الا الله وحده لا شريك له صدق الله وعده ونصر عبده وهزم
الأحزاب وحده ، ألا كل مأثرة أودم أو مال يدعى فهو تحت قدمي هاتين
الا سدانة البيت وسقاية الحاج ألا وقتيل الخطأ العمد بالسوط والعصا فيه
الديه مغلظة فيها اربعون خلفه في بطونها اولادها ، يامعشر قريش : أن الله
قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظيمها بالأباء ، الناس من آدم وآدم خلق من
تراب ثم تلا هذه الآية «يا أيها الناس : أنا خلقناكم من ذكر وأنثى» يامعشر قريش
أو يا أهل مكة : ماترون انى فاعل بكم ؟ قالوا خيراً ، اخ كريم وابن أخ

قال : فاذهبوا فانتم الطاقم

ومن خطبة له صلى الله عليه وسلم وهي أول خطبة خطبها في مكة :
أن الرائد لا يكذب أهله ، والله لو كذبت الناس ما كذبتكم ولو غررت
الناس ما غررتكم ، والله الذى لا إله إلا هو إني لرسول الله اليكم حقاً وإلى
الناس كافة ، والله لتموتن كما تنامون ، ولتبعثن كما تستيقظون ، ولتحاسبن بما
تعملون ، ولتجزون بالإحسان إحساناً ، وبالسؤسؤما ، وإنها للجنة أو النار
أبدأ وأنكم لأول من أنذر بين يدي عذاب شديد ،

آخر : حدثنا عن بعض أحاديثه الشريفة وعن بعض خطبه الممتعة فهلا حدثنا عن بعض رسائله الكريمة صلوات الله عليه .

الرجل : وهاكم رسالته التي بعث بها الى كسرى ملك فارس على يد عبد الله بن حذافة السهمي حيث كان يتردد على كسرى كثيراً قال :

بسم الله الرحمن الرحيم ، من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس ، سلام على من اتبع الهدى ، وآمن بالله ورسوله ، وشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأن محمداً عبده ورسوله ، أدعوك بدعاية الله ، فأني أنا رسول الله إلى الناس كافة لأنذر من كان حياً ويحق القول على الكافرين ، أسلم تسلم فإن أبيت فعليك إثم المجوس الذين هم أتباعك .

واليكم برسالته التي بعث بها إلى المقوقس ملك القبط على يد حاطب بن أبي بلتعة قال : بسم الله الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسلم تسلم يؤتك الله أجرك مرتين فإن توليت فإنما عليك إثم القبط أي الذين هم رعاياك ، ويا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ، ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأننا مسلمون .

وهذه رسالته إلى النجاشي ملك الحبشة على يد عمر بن أمية الضمري قال من محمد رسول الله إلى النجاشي ملك الحبشة

فإني أحمد الله الذي لا إله إلا هو الملك القدوس السلام المؤمن المهيمن وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمته القاها إلى مريم البتول الطيبة الحصينة ، وإني أدعوك إلى الله وحده لا شريك له ، والموالة على طاعته ، وإن تتبعني وتوقن بالذي جاءني فإني رسول وإني أدعوك وجنودك إلى الله عز وجل ، وقد بلغت ونصحت فاقبلوا نصيحتي والسلام على من اتبع الهدى

آخر : حقاً بمثل هذا الحديث تنعطر الأندية وتتفاخر المجالس .

آخر : وهل بعد ذكر الرسول صلوات الله عليه من عطر وتفاخر ؟
فالحمد لله الذي هدانا إلى هذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله .

الرجل : وحكاية ذلك اليهودي الذي اتاه يتقاضاه ديناً عليه لم يحل أجله ألا تذكرونها ؟

القوم : زدنا زادك الله علماً وعرفاناً .

الرجل : أتاه يهودي يتقاضاه ديناً عليه لم يحل أجله فحُذِبَ ثوبه عن منكبيه وأخذ بمجامعه ، ثم قال له ، انكم يا بني عبد المطلب مطل ؛ فانتهره عمر وهم به وشدد له في القول ، فابتسم الرسول والتفت إلى عمر قائلاً :

أنا وهو كنا إلى غير هذا منك أحوج يا عمر ، تأمره بحسن التقاضي وتأمرني بحسن القضاء . ثم قال لقد بقي من أجله ثلاث ، وأمر عمر أن يقضيه ماله ويزيده عشرين صاعاً لما روعه ، فكان ذلك سبباً في إسلام اليهودي وقال ما بقي من علامات النبوة شيء إلا وقد عرفته في محمد .

وأروع من هذا وذاك يوم جاءه رجل إعرابي فقام بين يديه فأخذته رعدة شديدة من هيئته فقال عليه الصلاة والسلام هون عليك اني لست بملك إنما أنا ابن امرأة من قريش كانت تأكل القديد . واشد روعة يوم كان عليه الصلاة والسلام في سفر وأمر أصحابه بإصلاح شاة فقال أحدهم على ذبحها وقال آخر على سلقها وقال ثالث على طبخها فقال الرسول على جمع الخطب فقالوا يا رسول الله نكفيك العمل قال قد علمت أنكم تكفونني ولكني أكره أن أتميز عليكم فإن الله يكره من عبده أن يراه متميزاً بين أصحابه .

القوم : حقاً لقد أدبه ربه فأحسن تأديبه فسلام عليه في الآخرة والأولى

سارح : وأين أنتم من حديثه مع ذلك الشيخ الوقور من شيوخ بني عامر يوم أقبل عليه

القوم وكيف كان ذلك . . . ؟

سارح

: بينا رسول الله صلى الله عليه وسلم جالس مع أصحابه إذ أقبل شيخ من بني عامر وسيدهم يتوكأ على عصاه فمثل بين يدي الرسول قائماً ونسبه إلى جده فقال يا ابن عبد المطلب ، إني أنبئت أنك تزعم أنك رسول الله إلى الناس أرسلك بما أرسل به إبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء ألا وأنت فوهت بعظيم وأما كانت الأنبياء والخلفاء في بيتين من بني إسرائيل وأنت ممن يعبد هذه الحجارة والأوثان فالك وللنبوة ؟

ولكن لكل قول حقيقة فانبشئ بحقيقة قولك وبدء شأنك فأعجب النبي صلى الله عليه وسلم بمسألته ، ثم قال : يا أخا بني عامر إن لهذا الحديث الذي تسألني عنه نبأ ومجسأ فاجلس ، فثنى الرجل رجله ثم برك كما يبرك البعير فاستقبله النبي بالحديث فقال يا أخا بني عامر أن حقيقة قولي وبدء شأنى أنى دعوة أبى إبراهيم وبشرى أخى عيسى بن مريم ، وأنى كنت بكر أمى وأنها حملت نى كأثقل ما تحمل وجعلت تشتكى إلى صواحبها ثقل ما تجد ثم أن أمى رأت فى المنام أن الذى فى بطنها نور قالت فجعلت اتبع بصرى النور والنور يسبق بصرى حتى أضاءت مشارق الأرض ومغاربها ثم أنها ولدتنى فنشأت فلما أن نشأت بغضت إلى أوثان قريش وبغضت إلى الشعر ، وكنت مسترضعاً فى بنى ليث بن بكر فبينما أنا ذات يوم منتبذ من أهلى فى بطن واد مع أتراب لى من الصبيان تتقاذف بيملنا بالجلة إذ أتانا رهط ثلاثة ، معهم طشت من ذهب ملىء ثلجاً فأخذوني من بين أصحابى ؛ فخرج أصحابى هراباً حتى انتهوا إلى شفير الوادى ؛ ثم أقبلوا على الرهط فقالوا ما أربكم إلى هذا الغلام فإنه ليس منا ؛ هذا ابن سيد قريش وهو مسترضع فىنا ؛ وهو غلام يتيم ليس له أب فإذا يرد عليكم قتله وماذا تصيبون من ذلك ؟ ولكن أن كنتم لابدقاتليه فاخترأوا منا أينما شئتم فليأتكم مكانه فأقتلوه ودعوا هذا الغلام فإنه يتيم .

فلما رأى الصبيان القوم لا يحIRON اليهم جواباً ؛ انطلقوا هراباً مسرعين إلى الحى يؤذنونهم ويستصرخونهم على القوم ؛ فعمد أحدهم فاضجعنى على

الأرض اضجاعاً لطيفاً ثم شق ما بين مفرق صدرى إلى منتهى عاتى وأنا أنظر إليه لم أجد لذلك مساً ثم أخرج أحشاء بطنى ثم غسلها بذلك الشالج فأنعم غسلها ثم أعادها مكانها ثم قام الثانى منهم فقال لصاحبه تنح ففتحاه عنى ؛ ثم أدخل يده فى جوفى ، فأخرج قلبى وأنا أنظر إليه فصدعه ؛ ثم أخرج منه مضغة سوداء فرمى بها ، ثم أهوى بيده يمنة منه كأنه يتناول شيئاً فإذا أنا بخاتم فى يده من نور يحار الناظرون دونه فختم به قلبى ؛ فامتلاً نوراً وذلك نور النبوة والحكمة ؛ ثم أعاده مكانه فوجدت برد ذلك الخاتم فى قلبى دهرأ ثم قال الثالث لصاحبه تنح فتنح عنى ، فامر يده ما بين مفرق صدرى إلى منتهى عاتى ، فالتأم ذلك الشق بإذن الله ثم أخذ ييدى فانهضنى من مكانى أنهاضاً لطيفاً ثم قال للأول الذى شق بطنى زنه بعشرة من أمته فوزنوني بهم فرجحهم ثم قال زنه بألف من أمته فوزنوني بهم ؛ فرجحهم ؛ فقال دعوه ؛ فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم قال ثم ضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عيني ثم قالوا يا حبيب لم ترع أنك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرت عيناك ؛ قال فبينما نحن كذلك إذ أنا بالحى قد جاءوا بحذافيرهم وإذا امى وهى ظئرى أمام الحى تهتف بأعلى صوتها وتقول : يا ضعيفاه فأنكبوا على فقبلوا رأسى ، وما بين عيني فقالوا حبذا أنت من وحيد وما أنت بوحد ان الله معك وملائكته والمؤمنين من أهل الأرض ، ثم قالت ظئرى يا يتيماه ؛ لست ضعفت من بين أصحابك فقتلت لضعفك ، فأنكبوا على فضموني إلى صدورهم وقبلوا رأسى وما بين عيني ؛ وقالوا حبذا أنت من يقيم ما أكرمك على الله لو تعلم ماذا يراد بك من الخير فوصلوا نى إلى شفير الوادى ؛ فلما بصرت نى أمى وهى ظئرى ؛ قالت يا بنى ألا أراك حياً بعد ؛ فجاءت حتى انكبت على وضممتنى إلى صدرها ، فوالذى نفسى بيده إنى لنى حجرها وقد ضممتنى إليها وأن يدى فى يد بعضهم فجعلت التفت إليهم وظننت أن القوم يبصرونهم فإذا هم لا يبصرونهم

يقول بعض القوم أن هذا الغلام قد أصابه لمم د أو طائف من الجن ؛ فانطلقوا به إلى كاهننا حتى ينظر اليه ويداويه ؛ فقلت يا هذا ؛ ما بي شيء مما تذكر أن إرادتي سليمة وفؤادي صحيح ليس بي قلبية (علة) فقال أبي وهو زوج ظئري ؛ ألا ترون كلامه كلام صحيح أنى لأرجوا أن لا يكون بابني بأس فاتفقوا على أن يذهبوا بي إلى الكاهن فاحتملوني حتى ذهبوا بي إليه فلما قصوا عليه قصتي قال أسكتوا حتى أسمع من الغلام فانه أعلم بأمره منكم ؛ فسألني فأقصصت عليه أمرى ما بين أوله وآخره ؛ فلما سمع قولي وثب إلى وضمني إلى صدره ثم نادى بأعلى صوته يا للعرب . يا للعرب اقتلوا هذا الغلام ، واقتلوني معه فواللات والعزى لئن تركتموه وأدرك ليدلن دينكم ؛ وليسفهن عقولكم وعقول آبائكم ؛ وليخالفن أمركم وليأتينكم بدين لم تسمعوا بمثله قط فعمدت ظئري فانتزعتنى من حجره ؛ وقالت لانت اعته وأجن من ابني هذا فلو علمت أن هذا يكون من قولك ما أتيتك به ؛ فاطلب لنفسك من يقتلك ؛ فأنا غير قاتلي هذا الغلام ؛ ثم احتملوني فأدوني إلى أهلى .

فأصبحت مفزعاً مما فعل بي ؛ وأصبح أثر الشق ما بين صدرى إلى منتهى عاتق كانه الشراك (أحد سيور النعل التى تكون على وجهها) ؛ فذلك حقيقة قولى وبدء شأنى يا أخا بنى عامر .

فقال العامرى أشهد بالله الذى لا إله غيره أن أمرك حق فأنبئنى بأشياء أسألك عنها ؛ قال سل عما شئت فقال له العامرى ؛ اخبرنى يا ابن عبد المطلب ، ما يزيد فى العلم ؛ قال ؛ التعلم قال ؛ فأخبرنى ما يدل على العلم ؛ قال السؤال قال فأخبرنى ماذا يزيد فى الشر ؛ قال التماذى قال ؛ فأخبرنى هل ينفع البر بعد الفجور ؛ قال نعم التوبة تغسل الحوبة (الاثم) والحسنات يذهبن السيئات وإذا ذكر العبد ربه عند الرخاء أغاثه عند البلاء ؛ قال العامرى وكيف ذلك يا ابن عبد المطلب ؛ قال ذلك بأن الله يقول « لا وعزتى وجلالى لا أجمع لعبدى امنين ولا أجمع له أبداً خوفين أن هو خافنى فى الدنيا أمننى يوم أجمع

فيه عبادى عندي في حظيرة القدس فيدوم له أمنه؛ ولا أحقه فيما أحق؛
وان هو أمني في الدنيا خافني يوم أجمع فيه عبادى لميقات يوم معلوم فيدوم
له خوفه؛ قال يا ابن عبد المطلب؛ أخبرني ألام تدعو قال أدعو إلى عبادة
الله وحده لا شريك له؛ وان تخلع الأنداد وتكفر باللات والعزى؛
وتقر بما جاء من الله من كتاب أو رسول؛ وتصلى الصلوات الخمس
بحقائقهن؛ وتصوم شهراً من السنة وتؤدي زكاة مالك يطهرك الله بها ويطيب
لك مالك، وتحج البيت إذا وجدت إليه سبيلاً وتغتسل من الجنابة، وتؤمن
بالموت وبالبعث بعد الموت وبالجنة وبالنار؛ قال يا ابن عبد المطلب فإذا
فعلت ذلك فإلى؛ قال جنات عدن تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها
وذلك جزاء من تزكى قال يا ابن عبد المطلب هل مع هذا من الدنيا شيء؟
فإنه يعجبني الوطأة من العيش، قال النبي عليه الصلاة والسلام نعم النصر
والتمكن في البلاد.

أحد القوم : بذا أجاب وأتاب

الرجل : ثم انظروا إلى الرسول صلوات الله عليه بعد أن عظم شأنه ودانت له
العرب كلها وقد نصره الله يوم حنين على هوازن، فهزم الجند واحتوى
المال وسبي الذرية والنساء وقسم الغنائم بين المسلمين وأنه بالجرانة وإذا وفد
من هوازن يقبل عليه مسلماً منبئاً بالسلام من وراءه من الناس وفي هذا الوفد عمه
من الرضاة فيقول يا رسول الله، إنما في هذه الحظائر من كان يكفلك من
عماتك وخالاتك وحواضنك وقد حضنك في حجبورنا، وأرضعنك بشدينا
ولقد رأيتك مرضعاً فما رأيت مرضعاً خيراً منك، ورأيتك فطيماً فما رأيت
فطيماً خيراً منك، ثم رأيتك شاباً فما رأيت شاباً خيراً منك، وقد تكاملت
فيك خلال الخير ونحن مع ذلك أصلك وعشيرتك فأمنن علينا من الله عليك
فأجابه رسول الله صلى الله عليه وسلم لقد استأنيت بكم حتى ظننت انكم
لا تقدمون، وقد قسمت السبي وجرت فيه السهمان فما كان منه لي ولبنى

عبد المطلب فهو لكم ، وأسأل لكم الناس ، فإذا صليت بالناس الظهر فقولوا
نستشفع برسول الله إلى المسلمين وبالمسلمين إلى رسول الله ، فإنني سأقول
لكم ما كان لي ولبنی عبد المطلب فهو لكم وسأطلب لكم إلى الناس فلما
صلى الظهر قام الوفد فأتهم ما أمر به ووفى لهم بوعده وشفع لهم عند الناس
فردت عليهم نسائهم وأبنائهم .

أحد القوم : وأى وفاء ابلغ من هذا الوفاء ؟ اللهم صل عليه ملء السموات والأرض
وملء ما بينهما وملء ما شئت من شيء بعد .

الرجل : ثم انظروا حين دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم مكة يوم الفتح على
راحلته فطاف عليها وحول البيت أصنام مشدودة بالرصاص ، فجعل يشير
بقضيب في يده إلى الأصنام ويقول جاء الحق وزهق الباطل أن الباطل كان
زهوقا ، فما أشار إلى صنم منها في وجهه الا وقع إلى قفاه ولا أشار إلى قفاه
إلا وقع لوجهه حتى ما بقى منها صنم إلا وقع .

وفي الأصنام معتبر وعلم لمن يرجو الثواب أو العقاب
الرجل : وهل بلغكم ما كان من أمر عمر بن الخطاب حين سمع أن النبي قد طلق
زوجاته ؟

القوم : هات

الرجل : سأل ابن عباس عمر بن الخطاب فقال يا أمير المؤمنين من اللتان تظاهرتا
على النبي صلوات الله عليه فقال تلك حفصة وعائشة ثم قال والله إن كنا في
الجاهلية ما نعد للنساء أمراً حتى انزل الله فيهن ما انزل وقسم لهن ما قسم

وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا على الأنصار إذا قوم تغلبهم
نسائهم فطفق نسائنا يأخذن من أدب الأنصار فصنبت على امرأتى
فراجعتني فأنسكت أن تراجعني قالت .. ولم تنسك أن أراجعك فوالله أن
أزواج النبي ليراجعنه وإن أحداهن لتهجره اليوم حتى الليل فأفرغني ذلك
وقلت لها قد خاب من فعل ذلك منهن ثم جمعت على ثيابي فنزلت فدخلت

على حفصة فقلت لها أي حفصة أتغضب احداً كن النبي اليوم حتى الليل
قالت نعم فقلت قد خبت وخسرت افتأمنين أن يغضب الله الغضب رسوله
فهل لك لا تستكثري النبي ولا تراجعيه في شيء ولا تهجريه وسالني ما بدالك
ولا يغرنك ان كانت جارتك أوضاً منك واحب إلى النبي « يريد عائشة »
وكان لي صاحب من الانصار إذا غبت أتاني بالخبر وإذا غاب كنت
آتية بالخبر .

قال عمر وكنا قد تحدثنا أن غسان تنهمل الخيل لغزونا فنزل صاحبي
الانصاري يوم نوبته فرجع إلينا عشاء فضرب بابي ضرباً شديداً وقال : أتم
هو . . . فنزعت فخرجت إليه فقال قد حدث اليوم أمر عظيم قلت ما هو
أجاءت غسان ؟ قال لا . بل أعظم من ذلك وأهول . . . طلق النبي نساءه فقلت
خابت حفصة وخسرت قد كنت أظن هذا يوشك أن يكون فجئمت على
ثيابي فضليت صلاة الفجر مع النبي فدخل النبي مشربة له فاعتزل فيها
ودخلت على حفصة فاذا هي تبكي فقلت ما يبكيك ألم أكن حذرتك هذا
أطلقكن النبي قالت لا أدري ها هوذا معتزل في المشربة فخرجت فجئمت إلى
المنبر فاذا حوله رهط يبكي بعضهم فجلست معهم قليلاً ثم غلبني ما أجد
فجئمت المشربة التي فيها النبي فقلت للغلام له أسود استأذن لعمر فدخل الغلام
فكلّم النبي ثم رجع فقال كلمت النبي وذكرتك له فصمت فأنصرفت حتى
جلست مع الرهط الذين عند المنبر ثم غلبني ما أجد فجئمت فقلت للغلام
استأذن لعمر فدخل ثم رجع فقال قد ذكرت لك له فصمت فرجعت فجلست
مع الرهط ثم غلبني ما أجد فجئمت الغلام فقلت استأذن لعمر فدخل ثم رجع
إلي فقال قد ذكرت لك له فصمت فلما وابت منصرفاً إذا الغلام يدعوني فقال
قد أذن لك النبي فدخلت على رسول الله فإذا هو مضطجع على رمال^(١)
حصير ليس بينه وبينه فراش قد أثر الرمال بجنبه متكئاً على وسادة من

(١) رمال حصير ضلوعه المتداخلة فيه كالخيط في الثوب

أدم^(١) حشوها ليف فسلمت عليه ثم قلت وأنا قائم يا رسول الله أطلقت نسائك فرفع إلى بصره فقال لا .. فقلت الله أكبر ثم قلت وأنا قائم أستأنس يا رسول الله لو رأيتني وكنا معشر قريش نغلب النساء فلما قدمنا المدينة إذا قوم تغلبهم نساؤهم فتبسم النبي ثم قلت يا رسول الله لو رأيتني ودخلت على حفصة فقلت لها لا يغرنك إن كانت جارتك أوضأ منك وأحب إلى النبي « يريد عائشة » فتبسم النبي تبسمة أخرى فجلست حين رأته تبسم فرفعت بصرى في بيته فوالله ما رأيت في بيته شيئاً يرد البصر غير اهبة^(٢) ثلاث فبكيت فقال ما يبكيك فقلت يا رسول الله إن كسرى وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله ... فجلس النبي وكان متكئاً فقال أو في هذا أنت يا ابن الخطاب ؟ أن أولئك قوم عجلوا طيبتهم في الحياة الدنيا ، أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة ؟ فقلت يا رسول الله استغفر لى .

ثم أنظروا وتعجبوا حديث سهل بن سعد الساعدي إذ تحدث فقال أن امرأة جاءت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله جئت لأهـب لك نفسى فنظر إليها رسول الله فصعد النظر إليها وصوبه ثم طأطأ رأسه فلما رأت المرأة أنه لم يقض فيها شيئاً جلست فقام رجل من أصحابه فقال يا رسول الله إن لم يكن لك بها حاجة فزوجنيها ،

فقال هل عندك من شيء ؟ فقال لا والله يا رسول الله

قال اذهب إلى أهـلك فانظر هل تجد شيئاً ؟

فذهب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله ما وجدت شيئاً .

قال انظر ولو خاتماً من حديد فذهب ثم رجع فقال لا والله يا رسول الله ولا خاتماً من حديد ولكن هذا ازارى فلما نصفه فقال الرسول ما تصنع بأزارك ؟ ان لبسته لم يكن عليها منه شيء وان لبسته لم يكن عليك شيء فجلس

الرجل حتى طال مجاسه ثم قام فرآه رسول الله مولى فأمر به فدعى فلما جاء قال ماذا معك من القرآن ؟ قال معي سورة كذا وسورة كذا وسورة كذا « عدها » .

قال رسول الله اتقروهن عن ظهر قلبك ؟

قال نعم قال اذهب فقد ملكتكم بما معك من القرآن .

أحد القوم : ليس هذا بكثير على النبي

سارح : وحديث ذلك رهط الثلاثة أين أنتم منه

أحد القوم : وكيف كان ذلك ؟

سارح : جاء ثلاثة رهط إلى بيوت أزواج النبي صلى الله عليه وسلم يسألون عن عبادة النبي

فلما أخبروا تقولوا « عدوها قليلة » وقالوا وأين نحن من النبي

وقد غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر

قال أحدهم أما أنا فأني أصلي الليل أبدا

وقال آخر أنا اعتزل النساء فلا أتزوج أبدا

وقال آخر أنا أصوم الدهر

فجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أنتم الذين قلتم كذا وكذا

أما والله إنى لأخشاكم لله واتقاكم له لكنى أصوم وأفطر وأصلي وأرقد

وأتزوج النساء فمن رغب عن سنتي فليس مني

أحد القوم : إلا بمثل هذا تطمئن القلوب وتسمو النفوس اللهم صل على سيدنا محمد

النبي الزاهد رسول الملك الصمد الواحد صلاة دائمة إلى منتهى الأبد .

الرجل : عطرنا مجلسنا هذا ببعض أحاديثه الشريفة ورسائله . السكرية فلنعطره إذا

شئتم بجلية أوصافه الحميدة ولا يلبثكم مثل خبير .

أحد القوم : هات . هات . فقد عهدناك وصافاً مجيداً .

الرجل : فرسول الله نفعاً مفخماً يتلألاً وجهه تلاًو القمر ليلة البدر ، أطول من المربوع وأقصر من المشذب . عظيم الهامة رجل الشعر ، ازهر اللون . واسع الجبين ، ازج الحواجب سوابغ من غير فرق ، بينهما عرق يدره الغضب ، أقي العرنيين ، له نور يعلوه ويحسبه من لم يتأمله أشم ، كث اللحية ادعج العينين ، سهل الخدين ، ضايغ الفم ، أشذب مفلج الاسنان دقيق المسربة كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة معتدل الخلق بادناً متماسكا سواء البطن والصدر مشيح الصدر بعيد بين المنكبين ضخم السكراديس أنور المتجرد موصول ما بين اللبة والصرة بشعر يجري كالخط عارى الشدين ماسوى ذلك أشعر الذراعين والمنكبين وأعلى الصدر طويل الزنين رحب الراحة شتين السكفين والقدمين سائل الاطراف سبط العصب خحصان الاخصين مسيح القدمين يلبو عنها الماء إذا زال زال تقلصاً ويخطو تكفواً ويمشى هوناً زريع المشية اذا مشى كأنما ينحط من صلب واذا التفت التفت جميعاً خافض الطرف نظره إلى الأرض أطول من نظره إلى السماء جل نظره الملاحظة يسوق أصحابه ويبدأ من لقيه بالسلام .

متواصل الأحزان دائم الفكرة ليست له راحة ولا يتكلم في غير حاجة طويل السكوت يفتتح الكلام ويختمه بأشداقه ويتكلم بجوامع الكلم فضلاً لا فضول فيه ولا تقصير ، دماً . ليس بالجافى ولا الممين يعظم النعمة وأن دقت ، لا يذم شيئاً لم يكن يذم ذواقاً ولا يمدحه ولا يقام لغضبه اذا تعرض للحق بشيء حتى يلتصر له (١) ولا يغضب لنفسه ولا يلتضر لها

(١) من أمثلة ذلك ما روى عن عائشة ان امرأة من بنى مخزوم سرت فقالوا من يكلم النبي فيها فلم يجترأ أحد أن يكلمه فكلمه اسامة بن زيد وكان إذا شفع عند رسول الله قبل شفاعته فقال له عليه الصلاة والسلام وقد أخذ منه الغضب كل مأخذ . ان بنى اسرائيل كان اذا سرق فيهم الشريف تركوه واذا سرق فيهم الضعيف قطعوه . لو ان فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها .

إذا أشار أشار بكفه كلها وإذا تعجب قلبها وإذا تحدث اتصل بها فضرب
بأبهامه اليمنى راحته اليسرى وإذا غضب أعرض وأشاح وإذا فرح
غض طرفه . جل ضحكه التبسم ويفتر عن مثل حب الغمام .

لا يجلس ولا يقوم الا على ذكر ولا يوطن الا ما كن وينهى عن
ايطائها^(١) وإذا انتهى الى قوم جلس حيث ينتهى به المجلس ويأمر بذلك ويعطى
كل جلسائه نصيبه حتى لا يحسب جلسيه أن أحداً أكرم عليه منه ، من
جالسه أو قاومه لحاجة صابره حتى يكون هو المنصرف عنه ، من سأل
حاجة لم يرده الا بها أو بميسور من القول قد وسع الناس بسطه وخلقه
فصار لهم أباً وصاروا عنده فى الحق متقاربين متفاضلين فيه بالتقوى ، مجلسه
مجلس حلم وحياء وصبر وأمانة لا ترفع فيه الأصوات ولا تذكر فيه
العثرات وهو دائم البشر سهل الخلق لين الجانب ليس بفظ ولا غليظ ولا
صخاب ولا فحاش ولا عياب ولا مداح رحيم القلب كثير الحياء رزين
الطبع يتغافل عما لا يشتهى ولا يؤيس منه قد ترك نفسه من ثلاث الرياء
والا كثار وما لا يعنيه وترك الناس من ثلاث كان لا يذم أحد ولا يعيره
ولا يطلب عورته ولا يتكلم الا فيما يرجو ثوابه ، اذا تكلم أطرق جلساؤه
كأنما على رؤوسهم الطير وإذا سكت تكلموا لا يتنازعون عنده الحديث ،
من تكلم من عنده أنصتوا له حتى يفرغ حديثهم حديث أولهم ، يضحك
بما يضحكون منه ويتعجب بما يتعجبون منه ويصبر للغريب على الجفوة فى
المنطق ويقول اذا رأيت صاحب الحاجة يطلبها فاردوه ولا يطلب الشاء
الا من مكافئه ولا يقطع على أحد حديثه حتى يتجوزه فيقطعه بانتهاء
أوقيام ، ولقد أقر عليه السلام الاجتهاد واستنباط الأحكام التى جاءت بها
الشرعية الغراء فقد قال لمعاذ حين بعثه الى اليمن . كيف تصنع اذا عرض لك قضاء؟

(١) الدين لله والوطن للجميع . وقد نهض اليوم جماعة ينادون بهذا المبدأ السامى
فالفوا عدة جمعيات لهذا الغرض فى أمريكا وغيرها من البلاد المتقدمة رجاء تحقيقه وتعميمه .

قال أفضى بما في كتاب الله قال . فإن لم يكن في كتاب الله قال فبسنه رسول الله قال . فإن لم يكن في سنة رسول الله . قال اجتهد رأيي ولا آلو . فضرِب عليه السلام صدره فرحاً وقال الحمد لله الذي وفق رسول رسول الله لما يرضاه رسول الله .

يتفقد أصحابه ويسأل الناس عما في الناس ويحسن الحسن ويصوبه ويقبح القبيح ويوهنه معتدل الأمر غير مختلف لا يغفل مخافة أن يغفلوا أو يملوا لكل حال عنده عتاد ، لا يقصر عن الحق ولا يحاوزه إلى غيره الذين يلونه من الناس خيارهم وفضلهم عنده أعمهم نصيحة وأعظمهم عنده منزلة أحسنهم مواساة ومؤازرة .

وأما أصحابه فأنهم مطمئنين بوعده الله شغلهم الشاغل في عبادة الله وتأهيبهم القدوم على الله وطلبهم مرضاة الله صابرين على الشدائد راضين بالقضاء ، رغبتهم فيما قل من الدنيا وخلقهم الضيافة ، سبقوا الآخرين بالتوكل واليقين وإخلاص العمل والزهد في الدنيا والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والتواضع والخشوع وسخاء النفس يقبلون المَعذرة ويقبلون العثرة لا يحقدون ولا يحسدون بل يعفون عن ظلمهم ويصلون من قطعهم ، عملهم على محكم الكتاب في غير اختلاف ولا تنازع ولا تباغض ويردون ما تشابه منه إلى الله ويعترف أهل النقص منهم لخيارهم ويغتفر خيارهم إسامة مسيئتهم وينتظرون به رحمة الله

آخر : اللهم صل وسلم وبارك على سيدنا محمد أفضل مدوح بقولك واشرف داع للاعتصام بحبك وخاتم أنبيائك ورسلك صلاة تبلغنا في الدارين عيم فضلك وكرامة رضوانك ووصلك .

آخر : لقد اتحفتنا يا ابن خزيمة يذكر الرسول صلى الله عليه وسلم وذكر الرسول تحفة كل مسلم فلك شكرنا وثناؤنا

وليس لنا إلا إليك فرارنا
وأن فرار الناس إلا إلى الرسل

الرجل : لا شكر على هذا بل هي عبادة نرجوا الله أن يتقبلها قبولاً حسناً وإن
نصل بها إلى مغفرة الله ورضوانه

الجميع : آمين . آمين

الغنى : [العاشق] الحمد لله لقد منّ الله علىّ بنعمتين لا استطيع لهما شكراً . منّ علىّ
بالإسلام فأنقذني من الضلال والشرك ومنّ علىّ بالإسلام حبليتي فضمن لي
السعادة والراحة في هذه الحياة .

كل هذه نعم لله عز وجل يجب أن اشكرها واثني عليه من أجلها وأقسم
أنى لعاجز عن ذلك على أنى لا أبغى إلا شيئاً واحداً وهو أن استشهد في
سبيله وأموت في أعلاء دينه فإنه تعالى يقول « أن الله اشترى من المؤمنين
انفسهم وأموالهم بأن لهم الجنة يقاتلون في سبيل الله فيقتلون ويقتلون ،
وعداً عليه حقاً . » في التوراة والانجيل والقرآن ،

ولست أبالي حين اقتل مسلماً

على أى جنب كان في الله مصرعى

آخر : فاصبحت همى في الجهاد ونيتى

فله ما صومى ولله ما حجى

[وهنا يسمع صوت أذان صلاة العصر]

أحد القوم : وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله رضينا بالله رباً وبمحمد
رسولاً وبالإسلام ديناً وبالكعبة قبلة وبالقرآن أما ما

أحد القوم : حى على الصلاة . حى على الصلاة .

[يهرعون إلى الصلاة وهم يجأرون بذكر الله تعالى]

الفصل الخامس

[هيئة قاعة مظلمة يظهر عليها قدم العهد قد التى فيها إبليس مصفداً
مقيداً فى حال رثة وصورة قبيحة ، تظهر عليه التعاسة والبؤس وهو يتكلم
بصوت خافت]

إبليس

هذه هى الساعة التى كنت انتظرها منذ هبطت إلى هذه الدنيا فقد عشت
فى الأرض وأفسدت أمور أهلها زمناً طويلاً .
والآن خضعت كارهاً لقانون الانتقام فأنا الآن أودى للناس والله ما
كان على من الدين .

عصيت الله وخالفت أمره وبثت بين عباده أعوانى وأنصارى يغوونهم
ويقودونهم إلى الشرور والآثام .
ثم إلى جهنم حتى ملئت حظائرهما ولم يبق فيها موضع قدم ألا تلك
المنازل التى أعدت لى ولأعوانى !!

فهل هذه القاعة المظلمة التى أنا فيها حفرة من حفر جهنم ؟ لا . لا .
فألى لا أسمع ضجيج المعذبين وصرير أسنانهم . . ؟
ومالى لا أرى جلودهم تنضج ؟
ومالى لا ألقى من الزبانية ذلك العذاب الشديد الذى أنذرونى به منذ
أمد بعيد ؟

أجل أنى لا اظن أنى ألقى عذاباً أشد مما أنا فيه من عتب النفس ووخز
الضمير ومن العجز عن القيام والحركة ومن الضعف عن اغواء الناس
وتضليل عقولهم .

ولكن هيات ؛ هيات
أين يكون هذا من عذاب الآخرة . . ؟ فللعذاب الآخرة أشد وأبقى

انى أندم الآن أشد الندم
ولكن أعرف ان هذا الندم لا يفيد
لذلك لا أتوب إلى الله ولا أسأله العفو والمغفرة
فأى فائدة فى طلب المحال ؟
وكيف تصغر نفسى إلى هذا الحد ؟
تلك النفس التى جادلت الله فيما مضى من الزمان عتوا وظلموا وصارحتهم
بالمعصية وأبت عليه أن تخضع لأمره .
كيف نتوب الآن وتعترف بذنبها مهما كانت مخطئة آثمة ومهما كان
الخطر الذى يهددها شديداً ؟
لا لا توبة ولا مغفرة فليفعل الله ما يشاء ولا حتمل ما أنا فيه بصبر
وثبات .

عادت محمداً وأعنت عليه وخذلت الناس عنه ورغبتهم فى أن يثيروا عليه
الحروب ويظهروا له السوء ويتولوه بالأذى ففعلوا ولمكنهم فشلوا وفشلت
فانتشر دين محمد فى مكة ، ثم هاجر إلى المدينة بكره منا ثم أخضع جزيرة
العرب وأصلح أمرها فى زمن قليل حتى انهزمنا عنها أو كدنا نهزم .
ثم مات وقد أتم الله دينه وأكمل شريعته فانتهزنا هذه الفرصة وأتيننا
إلى القوم من مواضع الضعف فيهم فزينا لهم الردة وحببنا إليهم المروق ،
فارتد عامتهم إلا قليلا من قريش وثقيف والأنصار وأصبحت جزيرة
العرب مشركة بعد أن آمنت وكدنا نعيد الأوثان إلى أماكنها فى غير مكة
ولكن واحسرتاه فقد أبى الله إلا أن يتم دينه وينصر الذين أحبوه .

فقام المسلمون بعد قليل من التردد وقاتلوا القوم قتالا شديداً حتى ردوهم
إلى ما كانوا فيه طائعين أو كارهين !!

هنالك وثقنا بالفشل وانجلينا عن جزيرة العرب وقلنا حسبنا غيرها من
بقاع الارض ولكن ما هي إلا أن أبصرنا جيوش المسلمين تتبعنا في كل
صوب وتطاردا من كل مكان ، وقد زحفت جنودهم على الفرس والروم
وأفريقيا وانتشر دينهم انتشاراً هائلاً فكدنا نصعق من هول النازلة ولم
ندر أين نذهب ولا من أين نجيء ؟

حتى ظهرت دعوة المسلمين وعم دينهم وعالت كلمتهم فظهرت بذلك
الفضيلة وعم العدل وثبت مكانة الحق ونفر الناس مما كنا ندعوهم إليه من
الاثم والفجور ومن البغى والزور ومن عبادة الاوثان وتعظيم الكواكب
والسجود للنار واضطربت عقائد أهل الكتاب من اليهود والنصارى فدخلوا
في الاسلام أفواجا وصارحت سيرة من بقى منهم على دينه خضوعاً للبيئة
والوسط فلم يبق لنا مع القوم مقام وقد سدت علينا السبل وضائق في
وجوهنا الحيل فتفرقنا في كل صوب ، وما هي إلا أن هبطت قوة هائلة من
السماء لا أعرفها ولا أستطيع أن أحيط بها علماً .

وانى لتأخذنى الرجفة إذا تذكرتها وتذكرت صوتها المزعج الذى
لا يزال يرن فى اذنى قائلاً :

لا بقاء لك الآن !!

هناك لم أشعر بما أصابنى ولم أدر ماذا حل بى ولم أعرف نفسى إلا ملقى
فى هذه الهوة !!

والآن وقد مضى على اقامتى من تلك الرجفة أكثر من ستة قرون أعانى
فيها الآلام والهموم وقد انقطعت عني أخبار الدنيا وأنباؤها ولم أدر
أين أعوانى ولا ماذا أصابهم ؟

الآن اتسامل لم لم أنظر إلى يوم الدين ، كما سبق لى الوعد بذلك ؟
[هنا يسمع ضجيج هائل وأصوات مختلفة وصرير أسنان . . .] .

ابليس : ماذا أسمع لعلهم زبانية جهنم أقبلوا ليقودوني إلى منزلي من النار ؟
[هنا تقرب الاصوات ...] .

ان لي بهذه الاصوات عهداً ويخيل إلى اني أسمع زفير جهنم .
[ثم يضطرب ويلتجب]

إذا قد حيل بيني وبين الرجا

[هنا تقرب الاصوات جداً ...]

ولكن مالى أشعر بشيء من السرور وأرى قليلاً من القوة يتمشى في
جسمي الهامد ، وكأن هذه الاصفاذ والقيود تريد أن تنحل ؟
ألعلمها يقظة الموت ؟

هنا يقرب الصوت ويتبين ألفاظه ويسمع زفير جهنم وصياح الناس
ونشيد الشياطين ، ثم يثب جالساً وقد انحلت قيوده ...
ماذا أسمع ... ؟ نشيد الشياطين إذا فقد انتصرنا !!

[هنا تظهر جهنم من الداخل وقد اكتظت بالناس وهم يصيحون
ويبكون ، والشياطين يلشدون بسرور ، ثم يتسابقون إلى ابليس
فيحيطون به]

ايه	دار	الجحيم	قد	أتاك	الوقود
بين	عاص	أثم	وكفور		جحود
فاحمدى	للجنود	خدمهم	في		العمل

✱ ✱ ✱

قد	رفعنا	الضلال	وخفضنا	الدين
ونشرنا	المحال	وطوينا	اليقين	
ما ترى	من مثال	للنجاح	المبين	
قد	ملكنا	الوجود	بعد	ذاك

ابليس : ويحكم ماذا جرى ؟

الشياطين : لم يجر إلا ما كنا ننتظره ، وهو الانتصار ورجوع دولتنا إلى ما كان لها في سابق الدهر من الصولة والسلطان

ابليس : [بصوت الدهش] وكيف كنتم تلتظرون ذلك وهل ما أنبأتموني به صحيح وهل أنتم أكثر مني أملاً وأشد قوة ؟

فقد استولى على اليأس وشملى العجز والضعف فأيقنت بأن ما كنا فيه ليس إلا بعض اشراط الساعة .

أحد الشياطين : أما ما أنبأناك به فهو حق لا شك فيه ولا نحتاج إلى إقامة الدليل عليه لان الدليل ظاهر محسوس وهو جهنم هذه التى تضيق بأهلها وسكانها ، وأما انتظارنا لهذا وقوة أملنا فليس شيئاً جديداً فقد تعلمناه منك قبل الآن بآلاف السنين ، فكثيراً ما حاربنا الانبياء وصارعنا الصالحين وكدنا للآمم الراقية فأسقطناها وقدناها إلى السعير .

والذى يجب أن يدهش له هو ما قلته من استيلاء اليأس عليك وذهاب الضعف بما كان لك من حول وقوة ، فقد عودتنا فى مثل هذه المواقف كثيراً من الصبر والاحتمال ومن المكر والاحتياى ومن شدة الشكيمة ومضاء العزيمة وذكاء القلب وحصافة الرأى فأين ذهب عنك جميع ذلك ، وكيف غاب عنك ان للحق جولة يحورها الباطل وينهب بها الاثم والزور وان الدولة فى هذه الحياة الاولى ليست إلا لنا وان الدهر إذا أعوج علينا يوماً فسيعتمد ، وان قسا ساعة فسيلاين .

ابليس : نعم ان ما قلته حق ولأمر ما لست أعرفه كان ما كان من ضعفى وعجزى ومن خمولى واستكانتى ولا اخفى عليكم أيها الاعوان انى لا أزال حائراً دهشاً من رجوع دولتنا ومن انتصارنا على دين محمد .

فهل يستطيع أحدكم أن يقص على حديث ذلك ويبين لى الحيلة التى اتخذتموها فى استرداد مكانكم الرفيع ؟..

الشياطين : (بصوت واحد) ليست حيلة واحدة بل هي حيل كثيرة ، لكل منا حيلة اصطانعها وسديل سلكها وسنحدثك بالامر متعاقدين يتلو بعضنا بعضاً ١١

ابليس : حسناً

[يتقدم إليه شيطان بارز النابين طويل الأظفار مخضب بالدماء . . .]
ابليس : حدثني بحديثك فقد علمت أنك صاحب السهم الأوفر في كل داهية والنصيب الأكبر من كل نازلة .

الشيطان : [ضاحكاً بصوت مزعج] نعم اني سأحدثك وان حديثي لعجيب ، فلعلك لم تنس تفرقنا عنك وفرارنا من حولك بعد انتصار المسلمين على البلاد المختلفة وبعد أن ضاقت علينا الارض بما رحبت ، فلم نجد لنا ملجأ وبعد أن شملنا الزهول وكاد يغلب علينا الجنون ، وما كاد يمضي على ذلك حين من الدهر قليل حتى افقت لنفسى وتذكرت سابق أمرى ، وحزنت أشد الحزن على ما كان من سقوط دوائنا وذهاب صولتنا وانمحاء سلطتنا فأعملت الفكرة وقلبت وجوه الحيلة ، فاهتديت إلى وجه الصواب وعرفت أن السبل الى غايتنا ممهدة وأن الطريق إلى نصرنا واضحة .
فقطعت الى بلاد العرب ليج البحار وأجواز القفار حتى وصلت الى يثرب أيام عمر .

حيث العدل منتشر والحق مؤيد والدين ظاهر سائد الكلمة . هناك القيت رحلي في منزل بعض الفرس الذين هاجروا الى المدينة وزعموا أنهم مسلمون ومن هم أولئك الفرس ؟

الشيطان : هو رجل كان من امراءهم وأولى قوتهم ، فخاربه المسلمون وغلبوه ، ثم صالحوه فغدر وأعاد ذلك معهم مرات حتى انتصروا عليه نصرأ مؤزراً وأسروه وبعثوا به إلى المدينة

وهناك أسلم وزعم أنه قد تاب وأناب وأصبح من عباد الله الصالحين واسم هذا الرجل الهرمزان . . .

فقد نزلت عليه وأوقعت في قلبه حب اثاره الفتنة وتفريق الأمة والانتقام
للدولة البائدة والسلطان المندثر فوجدت منه قلباً فارغاً ورأياً موافقاً وما
هي الا ان دعا اليه يهودياً زعم انه مسلم

ابليس : أظنه كعب الأحبار

الشيطان : نعم هو بعينه . دعاه الفارسي فاستجاب له ودبروا أول أساس للفتنة وهو
قتل عمر فاغروا به عبداً فارسي الأصل يقال له ابو لؤلؤة فقتله وهو في
صلاة الصبح ، ومات عمر فاضطربت أمور الخلافة لا سيما وأعلام قریش
كانوا يتنافسون ، وقد كان عمر وضع لهم قاعدة معروفة لانتخاب خليفة
مكانه للأمة فانتخب عثمان بن عفان ومن ذلك الوقت بدأت في تحقيق أملي
وادراك غايتي ولم أجد عدة لذلك الا الفرس واليهود .

ورأيت ان في قریش رجلين يتنافسان أشد المنافسة وهما علي وعثمان
فأريت أن أهدم دولة العرب باسم هذين الرجلين

فأسست احدى شيعة يرأسها رجل من اليهود زعم انه مسلم يدعو الى الله
وهو عبد الله بن سبأ ، فلم يزل هذا الرجل ينتقل في الأمصار ويرتحل من اقليم
الى اقليم حتى اتى رحله بمصر ، وهي كما تعلم ملجأ لأمثاله من المفسدين
المضلين ، وقد كان مما أعاننا على غرضنا أن الاسلام لا يفرق بين السياسة
والدين فأوقعت في نفوس القوم أن أقل خطأ في السياسة هدم للدين .
وقضاء عاليه ، وأوقعت في نفس فريق منهم أن الخليفة يجب أن يكون
معصوماً كالأنبياء وأن لكل نبي وصياً ووصى محمد علي أمته هو علي بن أبي
طالب وقد عمت الحكمة بذلك والدعوة اليه فتفانى الناس في حب علي
وبغض عثمان ولا سيما أهل الأمصار والشعور الذين هم حديثوا عهد بالدين
وقلوبهم فيه لا تزال ناشئة ...

فأخذ ابن سبأ وأنصاره يألون الناس على عثمان ويشيعون مقالة السوء
عن امرائه وعمله فما هي الا أن فشلت في الناس المقالات المزعجة والمخازي

المنتحلة المكذوبة على عثمان وولاته ، واخترعوا على الرجل أشياء هو برىء منها وزعموا أنه استحق بها القتل .

فاجتمعوا من كل مصر ونوافوا بالقرب من المدينة وساروا فحاصروا عثمان في داره .

ولقد كان من السهل على أعلام قریش أن يهدوا هذه الطائفة المارقة ويردوها إلى الحق ولكن سعت فأوقعت الفتنة بينهم وبين عثمان وأوقعت في قلوبهم بغضه والنعوذ عن نصره

فلما كان الحصار خذله وتلكأوا عنه وما هي إلا أيام حتى قتل الرجل في بيته وحتى وقعت الفتنة وعمت الفرقة ، فبايع الشائرون عليا وبايعه طلحة والزبير ثم استأذناه إلى مكة فأذن لهم وهناك التقوا بعائشة أم المؤمنين فأخذوها وشخصوا إلى البصرة ليطلبوا بدم عثمان وكانت بينهم وبين علي حرب سيئة العاقبة ، فانتصر عليهم على آخر الأمر ولكنه وجد في الشام عدوا ألد وخصما أقوى ، وهو معاوية فقد تحزب له أهل الشام وأقسموا لا يغمدون السيف أو يأخذوا ثأر ابن عمه ذلك الخليفة المقتول .

فقامت بينهم حرب صفيين ، تلك الحرب التي أفنى فيها المسلمون بعضهم بعضاً فقد ذهب من جنودهم مائة ألف ارضاء لهوى ذينك الرجلين

فلما اشتد الأمر على معاوية وكاد ينهزم زيدت له أن يأمر الناس برفع المصاحف على الرماح ودعوة على إلى كتاب الله ففعلوا وهناك انخزل عن على أصحابه وأقسموا لتجييبين القوم إلى ما طلبوا أو لنسلمنك إليهم فاجابهم وحكموا بينهم رجلين .

وهناك خرج على علي جماعة من أصحابه زعموا أن لا حكم إلا لله واستباحوا دماء المسلمين ونساءهم وأموالهم وأبناءهم فانقسمت الأمة إذ ذاك ثلاث فرق واجتمع الحكماء فخلعوا عليا ومعاوية ، وتركوا الأمة أمرها لتتخب من تشاء . فانتخب أهل الشام معاوية ولم يخضع على لحكم الحكام ، وبذلك تم انقسام الأمة واذكاء نار الفتنة .

فدان أهل الشام بتكفير على ودان أصحاب على بتكفير أهل الشام
ودان الخوارج بتكفير الحزبين جميعاً
وقوى كل حزب من هذه الأحزاب ورأى من الواجب عليه الزود
عن رأيه بالسيف .

ولكنى لم أته إلى الآن من تمثيل دورى فقد عرفت ان عليا اذا
انتصر رد الحق الى نصابه ، فخذلت الناس عنه وحببت اليهم الخول والدعة
وأخذ معاوية يغير عليه وينقص أطراف مملكته حتى لم يبق له منها
إلا قليلا .

ثم ائتمر الخوارج بعلى ومعاوية وابن العاص ليقتلوه ، فتمت الكلمة
على على ونجا الآخرين وبهذا انقضت دولة الراشدين وأصبح الأمر ملكا
عضوداً تعرض فيه المفسدة ويعم به البلاء . ثم أنشأت أولف الأحزاب
الأخرى وأسير الفتن المختلفة حتى نلت من الأمة فى زمن قليل ما لا يناله
فى عشرات القرون

وجملة القول انى جعلت بينها وبين حقيقة الدين حجاباً كشيافاً حال
بينها وبين النور الذى يهدها سواء السبيل ، فجعلت تخبط خبط
العشواء حتى عادت الى جاهليتها الجهلاء وضلالتها العمياء

وإلى هنا يا مولاي الرئيس تركت العمل لغيرى من الشياطين الذين
اتفتحت لهم أبواب الشر فساروا آمنين غير خائفين ومطمئنين غير وجلين
: أنى لا أجد من ألفاظ الثناء والحمد ما أكافئك به على جميل عملك وحسن صنيعك
فاحتسب ذلك على ما ستناله من الرفعة فى مستقبل الأيام .
وليته قدم إلى منكم من أبلى مثل هذا البلاء أو دونه .

لبليلس

[يتقدم اليه شيطان بشمع الصورة يظهر عليه المكر والدهاء . . .]

الشيطان : ها أنا يا مولاي الرئيس شيطان الطريق .

لبليلس : أى طريق ، أتريد السبيل وهل كنت قاطعاً للطريق على الناس ؟

الشيطان : (مقهقماً) لا . إنما الطريق لفظ عام يدل على معان بعضها ما سأحكيه لك الآن .

إبليس : أرجو أن تفسر الغامض من قولك فقد يخيل إلى أنكم قد اصطاحتم على أشياء لم يكن للناس بها عهد .

الشيطان : نعم إن الطريق يا مولاي الرئيس هي عبارة عن أن يتوسط الرجل بين العبد وبين ربه .

إبليس : وكيف يمكن هذا عند قوم ينطق دينهم بمنع الشرك ورفع الوثنية وتكفير القائلين بالواسطة ؟

وهل معنى هذا إلا ما كانت تزعمه قریش من وساطة الأوثان بينها وبين الله حتى رد عليهم القرآن بقوله « وقالوا ما نعبدكم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وقوله « ونحن أقرب إليه من حبل الوريد » .

الشيطان : نعم أن كل هذا حق غير أن الحق كثيراً ما يخالف الواقع ، وكيف يتفق الحق مع الواقع ونحن على الأرض نفسد فيها ونعبث ونضل أبناءها ونوقع في قلوبهم الغرور ؟

إبليس : بين لي كيف سلكت السبيل إلى هذه الغاية ؟

فأني أرى أنك قد أرجعت عهد قریش ووثنيها وكأني بالأصنام قد نصبت على السكينة من جديد .

الشيطان : لا يا سيدي عندنا ما هو أمر من الأصنام وهي قبور الأولياء والصالحين فاستمع لأقص عليك .

إبليس : هات

الشيطان : أني لم أخترع طريقتي هذه لإخترعاً وإنما مهد لي سبيلها شيطان السياسة فإنه كما تعلم قد قسم الأمة أحزاباً وفرقاً وكان من هذه الأحزاب حزب الشيعة وهو الحزب الذي دخلت أنا فيه فقسمة فرقاً لا تحصى واصطفيت لي من

تلك الفرق أضلها عن الحق فوضعت في قلوبهم أن للقرآن نصاً وتأويلاً وأن للدين ظاهراً وباطناً وأن محمداً قد جاء بالظاهر وأن المهدي سيجيء بالمأول وأن التكليف إنما هو لعامة الناس فأما خاصتهم فقد رفع عنهم التكليف والخرج فهم في حل من انتهاك الحرم واقتراف الآثام لأنهم قد عرفوا الله وعرفهم فهم أصدقاؤه الذين ليس بينهم وبينه حرج ولا كلفة وأن هؤلاء الناس الذين يسمون أنفسهم الخاصة ويزعمون أنهم غير مكلفين هم هداة الأمة الذين يرشدون الناس إلى الحق ويوصلونهم إلى الله فتراهم يلقنون الناس ألفاظاً يهزون بها ويأخذون عليهم عهداً وميثاقاً على السمع والطاعة ، وقد جعلت في قلوب هؤلاء الناس أنهم طلاب سياسة ، يطلبون أن يرجعوا دولة الفرس كما كانت قبل الاسلام متسترين بحجب أهل البيت .

فكانت لهم دولة في أفريقيا وأخرى في الفرس ومنهم من هاجم مكة وأسر أهلها وسبها بناتها ونساءها وقتل الحجيج وأخذ الحجر الأسود وما هي إلا سنين حتى استحال هذا المذهب السياسي إلى مذهب ديني وأصبح الناس جميعاً له خاضعين فكلهم يسعى إلى شيخ الطريق ليأخذ عنه العهد ويتلقن منه الاسم الذي يوصله إلى الله .

وقد وضعت في نفوس الناس أن هؤلاء الأشياخ هم أقطاب الكون الذين يقسمون الحظوظ بين الناس وما كان هؤلاء الأقطاب في الحقيقة إلا نفرأ مشعوذين وقد حبيت إلى الأمة أن ترفع لكل ميت منهم قبراً يطاف به وقبة تزار فلم يبق بلد أو قسم من بلد ألا وفيه شيخ أو إله صغير .

: تلك أيضاً مقدرة مدهشة وبراعة نادرة فلهه درك والله أبوك .

ابليس

[ثم يشير إلى الشياطين] .

أيكم أبلى بلاء حسناً كهذين ؟

[يتقدم إليه شيطان أشيب يظهر التفكير والتؤدة ...]

ما خطبك ؟

الشيطان : أما أنا يا مولاي الرئيس فمفسد أفكار الأمة ومضلل عقولها وصايغ دينها صبغة الوثنية ومقيم الأدلة على الباطل ومثير الشبهة على الحق وقاسم الأمة ثلاثاً وسبعين فرقة لكل عقيدة ولكل دين ، وكل يكفر بعضهم بعضاً .

ابليس : أنى لا أصدق ما أسمع وكأنتى فى حلم وكأنما تحدثونى بالمعجزات فكيف تنقسم أمة يقول كتابها « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا »

الشيطان : لا تسأل عما وقع فإنه قد أصبح لا يحتمل الشك ولا النزاع وتأكد أنى سلكت طريقة جديدة وهى التى سلكتها فى افساد المسيحية وتقسيم أهلها فرقاً وأحزاباً فأنت تعلم أن لليونان فلسفة

ابليس : وهل سلك القوم هذا الطريق ؟

الشيطان : نعم قد سلكوه فقد كانت أحزابهم سياسية بادية الامر ، ثم أخذت تستحيل الى أحزاب دينية وبعد أن سئموا الحروب ولجأوا الى المناقشة اللفظية واحتاجوا الى الأدلة والحجج أغريتهم بالفلسفة وحببتهم اليهم . فنبغ منهم المترحمون والباحثون وأخذوا من الفلسفة الغث والسمين ومنزجوا ذلك كله بالدين .

فنشأ مذهب التعصب للآراء وانقسموا شيعاً وانحى بعضهم على بعض وانتصر لكل شيعة خليفة وأعقب ذلك جمود أفكار الأمة وبغضها للفلسفة والبحث وأصبح الناس الآن يعدون الباحث عن الحق كافراً وقضى على الأمة بالسكون المطاق حتى رجعت الى عهدى الاول لا تعرف من الدين الا اسمه ولا يدينون الا بالخرافات .

ابليس : هذه الاسباب الثلاثة تكفى لاسقاط الأمة من شاخ مجدها مهبط كانت قوية عزيزة .

الشياطين : [جميعاً] لا بل هناك أسباب أخرى لم تسمعها بعد .
ابليس : فقصوا على منها مع الايجاز ما يكفي لا قناعي على أنى قد اقتنعت .
[يشير الى أحد الشياطين] .
وأنت ماذا فعلت ؟

الشياطين : أما أنا فشيطان الحرب المهلكة للنفوس ، المفضية للأجسام ، العابثة بالأمم ،
المسقطه للدول ، اللاعبة بالهوام ، كأنها أوراق الاشجار ، الفاجعة للأمم
بوحيدها ، والبرأة بزوجها ، وللأخت بأخيها ، الثالة للعروش الزاهية
بالأموال الناقلة عمران القصور الى خراب القبور ، المقدمة الى جهنم في
كل يوم قرباناً لا يحصيه العد ولا يناله التقدير ؛ المروية للأرض بالدماء
لتثبت البغضاء والشحناء وتحصد البوار والدمار !!

نعم أنا شيطان لا كالشياطين ومفسد لا كالمفسدين قد اتخذت من
العلم جهلاً وأنبت من الخير شراً واستخرجت من الفضيلة رذيلة وانتهيت
بالرقى الى الانحطاط ؛ حببت اليهم الابداع والاختراع لاعزاز الوطن وحمايته
فأبدعوا ما شاء العلم واكتشفوا ما شئت غوايتى من مدمرات للحصون
مهدمات للقلاع تهزم ولا هزيم الرعد وتعصف ولا عصف الزوابع ؛
وتثور فلا يقنعها المثآت من الناس تقطعهم ارباً ، ولا يرضيها الشاخ من
البناء تدكه دكاً ، فبعد ان كان غواة العرب يفتخرون بأن أحدهم ينتظم
الفارسين فى طعنة واحدة أصبحت هذه المدمرات تلتطم المثآت فى
طلق واحد .

نعم وقد اتخذوا البحر ميداناً يترامون فيه بالنار ويتقاذفون فيه
بالقنابل حتى لا يحتاج القتل الى دافن وحتى تجد بنات البحر طعامها سهلاً
ميسوراً .

نعم وقد زاحموا الطير فى السماء واتخذوا مهاجمات تصب عليهم
الجذاب من فوق رؤوسهم حتى لا يجدوا له مردأ .

كل ذلك اخترعته وبنيته على قواعد العلم وأصول الفضيلة بعد أن أصغرت شخص الحق حتى كاد ينفى وأكبرت شخص القوة حتى لا تكاد تأخذه العيون وسحرت القوم بفتون من القول رائجة وأباطيل من الزخرف محمودة فلا يلبث الفيلسوف الحكيم أن يكون وزيراً ومصالحاً حتى يكون رسول الهلاك إلى الأمم وشيطان الفناء في الشعوب.

أحييت الروح حشية البشعة وجعلتها بثوب المدنية الجميلة أيقظت حب النفس وألبسته ثوب الوطنية أكبرت شخص القوة ونقبت به بالتوازن الدولي فليس يمر عليهم يوم إلا وهم ينتظرون أن يدور عليهم الفلك أنحس دوراته ويطلع عليهم النجم شر مطالعه ؛ ويأتيهم العذاب من حيث لا يحتسبون فأن شئت فانظر في البر والبحر تجد قوما قد عكفوا على الشر يعبدونه وصبوا إلى القوة يمجدونها وشعوباً تلتحل الحرية ولا تلبث أن تساق إلى الموت أَرْضاء لشخص الملك أو إطاعة لأمر الوزير.

على أن سياحة منك تقوم بها بعد الآن كفيلة بأن تظهر لك فضلى وتبرهن على مهارتى.

ابليس : ما زلت أعلم أنك داهية في الخبث لا تبارى ولك منى المكافأة الحسنه بعد [يتقدم اليه شيطان آخر بشع الصورة عليه ملابس سوداء]

الشيطان : وأنا يامولاي شيطان المآثم وعمل قليل المؤنة ينحصر في أن أعمد إلى الرجل يموت له الميت فأغريه بأشياء لأصل لها في دين ولا يبررها عقل على أنها مذهبة للثروة مفسدة للأخلاق.

يموت الرجل فإذا أريد تشييع جنازته أوقعت في نفس أهله أن الجنازة لا بد أن تشيع بما تستحق من أجلال وإكرام فتحف بأنواع الزينة وصنوف الحلوى ويسعى أمامه الناس أفواجا وهم يحارون بالذكر ويرفعون أصواتهم بالقرآن وقصائد الشعر ولهم في ذلك طرق يظنونها محزنة وهي في الحقيقة

مضحكة ويتقدمون بالمجامر وأنواع الطيب فيعيدون بذلك سنة المجوس
ويتبعهم النساء شاهقات ناهقات قد شققن ثيابهن وخمشن وجوههن وضربن
الصدور والأصداغ واتخذن السواد وصبغن جلودهن به ورفعن الأصوات
بكلمات من سخف القول وهراء الحديث .

وبين هذا وذاك يامولاي تنتهك الحرم والأعراض فيجد فتیان السوء
وفتيات الحنا من تلك الغوغاء مروجاً لبضاعتهن السيئة فلهه اللحظات
والغمزات وما يجري هنالك من منكرات

فإذا انتهوا إلى القبر دفن الميت وقام على قبره رجل من العامة فجعل
يخطب بآيات محرقة وأحاديث مصحفة وكلمات هي الكفر بعينه وهو يزعم
أنه يلقي الميت جوابه الذي يجب أن يقوله المملوكين إذا سألاه ويزعم أن
الميت له سامع وعلى قوله حريص والكتاب بين أيديهم ينطق بأن الموتي
لا يسمعون ولا يبصرون .

حتى إذا رجعوا إلى البيت أقيمت السراقات والخيام وجلس فيها وفود
المعزين يدخلون وبينهم نفر من حسان الأصوات يرتلون القرآن ترتيلاً
يغير معناه ويخرج به عن معنى الدين إلى الغناء .

فكم ترى هناك من خلاعة في الصوت وحركات في الترتيل والنغمات
هي أحق بالمغنيات لا بالمغنين فضلاً عن القراء

أما في صبيحة النهار فتقام حفلات الحزن التي يقيمها النسوة وهي
تنحصر في أفانين من الهزل بين لطم الوجوه وضرب الصدور والقفز
والوثوب وبين هذا وذاك أقوال باردة تلقيها النادبة .

هذا هو مجمل الأعمال التي يقوم بها أهل الميت أياماً طويلة بعد موته
ولا تسلم عما يذهب في سبيلها من المال وقد يكون صاحب الميت أحوج
ما يكون إلى قوت يومه ولكنه يرهن ويستدين ويبدل ماء وجهه للناس
بخفاة اللوم إن قصر في هذه العادة المنكرة .

ولئن سألت يا مولاي عن مصدر هذا كله فليس له أصل إلا وثنية القدماء من المصريين ، تلك الوثنية التي نبذها الإسلام في أول أمره ولكن أهله لم يلبثوا أن رفضوه وقبلوا هذه العادة منا صاغرين .

ابليس : لله أتم من مكرة فجرة فقد أتيتم من المعجزات ما لا يكاد يطمئن إليه عقل ولا يرتاح إلى تصديقه ضمير .

[يتقدم إليه شيطان آخر حسن الشكل عليه ملابس حرام ...]

الشيطان : أنا يا مولاي الرئيس شيطان الأفراح ولست أفعل شيئاً إلا أن أحذو حذو شيطان المآتم في أغرام الناس في التبذير وتحبيب السرف إلى نفوسهم فلا ترى أحدهم يهتم بزواج أو نحوه مما يبعث على السرور حتى يقيم الحفلات الضخمة وينفق الأموال الطائلة في أشياء لا قيمة لها على أن فيها كثيراً مما يخالف أصول الدين ويشذ عن قواعده .

وجملة القول إن الأفراح الآن أصبحت سبيلاً إلى ضررين كبيرين يستتبعان ضرراً ثالثاً .

الأول ضياع الثروة

والثاني فساد الدين وكلا الأمرين يستتبعان فساد الاخلاق فتكثر الخصومات ويزيد الفقراء وفيهم اللصوص والمتشردون الذين يختل بهم الأمن ويشقى المجموع .

ابليس : وهذه أيضاً حيلة نادرة قد أحسنت التأدية إلى المقصود فلك الشكر .

[يتقدم إليه شيطان آخر بشع الصورة جداً ...]

الشيطان : اني يا مولاي لا أكثر اللوم على أصحابي في الاسراف في المآتم والأفراح فأن ذلك يصدر عن باعشين كبيرين في النفس هما الحزن والسرور وانما اللوم كل اللوم على أولئك الذين استطعت أن أقودهم باسم الزار إلى حيث أريد .

ابليس : وما هذا الزار فاني لم أسمع به من قبل ؟

الشيطان : الزار يامولاي هو عفريت خيالى يلبس المرأة وربما لبس الرجل أيضاً فيحملهما على نسيان أنفسهما وإتيان الأعاجيب والأكاذيب من الرقص والقفز والاستماع للطبول والزمور والتفنن في اتخاذ الزخرف .

وأصل هذه البدعة على لا شك فيه وهو أن الانسان قد يعتريه مرض عصبى وقد ينجح في دواء هذا المرض سماع الموسيقى والطبل وهذا شيء قد قرره العلم ولم يبق للشك فيه مجال .

فكما أن الشعبان يتشنج إذا سمع الطبل والموسيقى كذلك الانسان يتأثر من هذين الشيئين تأثراً يختلف باختلاف مزاجه .

فمن الناس من تشنج أعصابه للطبل والموسيقى ومنهم من يعتدل مزاجه ويستقيم أمره .

ومن هذه القاعدة النافعة استنبطت للناس تلك البدعة السيئة فأغرقت معظم النساء بانتحال هذا المرض وأوقعت في نفوس الناس أن مصدر هذا المرض إنما هو تلبس الجن بالأنس وأنه لا دواء له إلا استحضار الجن بالطبل والزمور حتى إذا حضروا وجب أن يسألوا عن السبب في إصابتهم لهذا المريض وعما يطلبونه أجراً لمبارحته .

وقد اخترعوا لذلك أساليب وأفانين من الغناء والمقاطيع تناسب ما تخيلوه في الجن من قبح الصور والأصوات .

فإذا مرضت المرأة ولو باصبعها زعمت لزوجها أن أسياها الجن قد ركبوها وانها في حاجة إلى إقامة حفلة هائلة تذهب فيها أموال كثيرة طائلة ويجرى فيها الرقص وما يتبعه من الخنزيات .

وقد يكون الغرض من هذه الحفلة مقصوراً عل ما يكون بين الرجل والمرأة من الأعمال السيئة فيختلط الحابل بالنابل والمريض بالصحيح

وحسبك أن محضر العفريت قد يكون رجلاً في أكثر الأحيان فتراه يرقى
الطبل ويلقى المقاطيع والنساء حوله يرقصن ويتثنين ثنى الأغصان وحول ذلك
جماهير النظارة يستجلون جمال هذا المنظر المضحك المثير للعواطف السيئة
وقد كان هذا المرض مقصوراً على السيدات وكانت طريقة دوائه
شرقية صرفة ولمكنه أخذ يترقى مع الزمان حتى عم الرجل والمرأة وحتى
أصبح له من الدواء طرق حديثة غريبة فبعد أن كانت العفاريت سودانية
أو حبشية أو مكية أصبح منها الآن عفاريت تركية وفرنسية وإيطالية
وأصبح لعفاريت الفرنج محضرون متفرنجون .

وبما يجب أن يلاحظ أنى قد أوقعت في نفوس الناس أنه يجب أن يكون
بين العفريت وصاحبه اختلاف فإذا كان المريض رجلاً وجب أن يكون
عفريته جنية وإذا كان المريض امرأة وجب أن يكون عفريتها شيخاً كبيراً
من شيوخ الجن ليحسن الاقتران بين المريض ومصيبته .

ومن حسن الحظ أنى قد وفقت في هذا العمل فضلت به الناس جميعاً
حتى المتعلمين سواء كانوا من رجال الدين أو شبان النهضة الحديثة فأما
الأولون فيستدلون عليه بأحاديث يروونها وأقاصيص يتحلقونها أما الآخرون
فيستدلون على ذلك بعلم ما وراء المادة من التنويم المغناطيسى واستحضار
الأرواح وغير ذلك .

وجملة القول يا مولاي أنى قد ملكت قياد الجميع وإن هذه البدعة تحدث
في نفوس الناس آثاراً سيئة لا تكاد تحصى أخصها افساد الدين والأخلاق
واضاعة الثروة والأعراض .

ومع ذلك فمن اليسير علينا أن نطلع مولانا الرئيس الآن على ذلك إن
أراد وشاء .

إبليس : وكيف ذلك ؟

الشيطان : تمثل هذا الدور فيزعم أحدنا أنه مريض وأزعم أنا أنى عفريته والباقون يطبلون ويزمرون لاستحضارى .

إبليس : لا بأس ولكنى سأرى ذلك رأى العين أثناء تفقدى لأحوال الناس وحسبى أن النتائج المرجوة قد حصلت كما نريد .

[يتقدم اليه شيطان آخر حسن الشكل جميل الهندام . . .]

الشيطان : وأين أنت منى يامولاي الرئيس ؟

إبليس : [ضاحكاً] وهل كان لك دور أيضاً مع أهل هذا الدين الذين يشدد عليهم كتابهم فى العفة والاحتفاظ بالفضيلة ويأمر الرجال والنساء منهم بغض الأبصار واصطناع الحياء ؟

الشيطان : وهل تبقى فضيلة مع وجودنا ، وكيف تبقى الفضيلة وقد ملكنا نفوذ المرأة منذ أول عهدنا بالوجود ؟

إبليس : إن الإسلام قد أصبح أمر المرأة وحررها من رقنا وأول من أنصفها وقرر لها حقها فى الحياة وفرض عليها التكالييف مثل ما فرض على الرجل فساوى بينها وبينه فى كل شىء إلا ما تقتضيه طبيعة المرأة ووظيفتها فى الحياة وجعلها شطر المجتمع وجاء الإسلام يخاطب بالتكالييف الدينية الرجال والنساء على السواء وقرر لمن حقهن فى الحياة الدينية والاجتماعية ويعدهن بحسن الجزاء فى الآخرة فنبغت المرأة المسلمة وساهمت بنصيب وافى فى الدين والسياسة وهاهى أسماء بنت أبى بكر حين دخل عليها ابنها عبد الله بن الزبير والحرب مستعرة بينه وبين بنى أمية يتعرف صبرها على فقده وقال لها يا أماه خذنى الناس حتى أهلى وولدى ولم يبق معى إلا قليل وقد أعطانى القوم ما أردت من الدنيا فاذا ترين ؟ .

قالت أرى أن تخرج إلى القتال ما دمت تعتقد أنك على الحق فوالله لضربة بسيف فى عز أحب إلى من ضربة بسوط فى ذل فقال لها ولكنى أخشى

أن يمثّلوا بي بعد الموت قالت إن الشاة المذبوحة لا يؤلمها السليخ . وها هي الحنساء ينعى إليها أولادها الذين ماتوا في القتال فتستقبل النعى مطمئنة وتقول الحمد لله الذي شرّفتهم بشهادتهم في سبيل الله وقد رأيت المرأة في حروب الفرس والروم تبلى البلاء الحسن ولعلك لا تفسى أن المرأة هي التي هاجمت جيش القادسية على كثرتة .

الشيطان : نعم إنى لا أنسى ولكن كيف تفسى أنت أن الحضارة والترف يفسدان أخلاق المرأة ويردنها إلى السكون والانعكاف على اللهو وإنى لم أفعل أكثر من تحبيب الزينة إلى المرأة واختراع الآفانين فيها حتى تركت شؤون المنزل وتربية الأبناء والبنات وأصبح كل همها أن تعجب الرجل والرجل من طبيعته ميال إلى اللهو نزاع إلى الفتنة فكان من تلك الزينة ومن هذا الميل الطبيعى فساد الأمة وأصبحت المرأة كعندها في العصور الأولى ، فقد نسيت نفسها ودينها وأضاعته حقها في سبيل اللذة واعترفت للرجل بأنها ليست إلا أداة في يده يتصرف فيها كيف يشاء وقد حمد الرجل منها ذلك وضرب بينها وبين العلم النافع بسور منيع ففسد من ذلك أمر المنزل والدولة وأصبح حال الأمة يسرنا جداً وأن أغضب الله ورسله والملائكة .

وفي هذه الأيام الأخيرة أخذت المرأة المسلمة تحس بأن لها حقاً مضموما فلم أترك لها سبيلاً إلى البحث والتنقيب بل حببت إليها وإلى الرجال طريقة المرأة الغربية وأنت تعلم ما فى هذه الطريقة من الفساد .

وعلى الجملة فقد انقسمت المرأة المسلمة قسمين .

قسم بقى على حاله القديم لا يشعر ولا يحس وقسم أخذ بالأساليب الغربية لا يفرق بين الحسن منها والقبيح .

أما السبل الواضحة المأمونة فقد طمسها ومحو معالمها ولم يبق إلى الاهتداء فيها طريق .

إبليس : إذا فقد أفلحنا كل الفلاح في جميع ما نحتاج إليه من طرق إفساد الأمة وأصبح عملنا مقصوراً على أن نسو ك الناس إلى جهنم .. ثم يقف،

الشياطين : [يضحون] ان لنا أعمالاً أخرى يجب أن تعنى بها وتلتفت إليها .

إبليس : حسبننا ما سمعناه فما أظنكم أتيتم بشيء جديد .

الشياطين : [بحجة شديدة] كلا ، كلا .

إبليس : تكلموا منفردين فأنى لم أوهب آذاناً بعددكم .

[يتقدم إليه شيطان ذو قرنين كبيرين ...]

الشيطان : أنا يا مولاي شيطان القيادة وقد أسقطت في نفس المسلم قيمه الفضيلة وعلته التهاون بها والازدراء لها والاطراح لكرامة نفسه حتى لا يأنف من أن يقود غلاماً إلى فاسق أو فتاة إلى زان ولم أجعل ذلك مقصوراً على فرقة خاصة من الناس بل أوقعت في نفس كثير منهم أن للصديق على صديقه ثلاثاً منها القيادة .

ولو أنك اطلعت الآن على منازل اللهو واللائم ومواطن الغنى والفجور لرأيت كثيراً من الشبان النجباء يتقارضون الفحش ويتبادلون القيادة لا يأنفون من ذلك ولا يتبرمون به بل يأتونه كما يأتون معروفاً من الأمر غير منكراً ومدوحاً من الفعل غير مذموم ولهم في ذلك فنون كثيرة ومذاهب مختلفة وأشارات متنوعة .

ولو شئت أن أسرد عليك فنونهم في ذلك لأطلت حيث يجب الاقلال

إبليس : مرحى . مرحى بمهارتك .

[يتقدم إليه شيطان جميل الصورة ذو قرن واحد ...]

الشيطان : أنا يا مولاي شيطان الغلمان .

إبليس : وماذا فعلت ؟

الشيطان : لم أفعل شيئاً كثيراً فقد رأيت تربية الشبان فاسدة لفساد المرأة فوضعت في نفوسهم حب التشبه بالنساء والميل إلى الترف والفجور ولو سمعت أحدهم يتكلم بتظرفه من وراء حجاب ما شككت في أنك إنما تسمع فتاة تتكلم

[الشياطين جميعاً يقهقهون]

ابليس : [يشير إلى أحد الشياطين] وأنت ماذا فعلت ؟

الشيطان : أنا يامولاي شيطان الأزياء

ابليس : وماذا تصنع بالأزياء ؟

الشيطان : لا أصنع بها شيئاً ولكني أثير في نفس الإنسان ميله القديم الوحشي

إلى حب الزينة وإثارة على المنفعة الحقيقية فأنت تعلم أن في متوحشي الهند من يفضل ابتغاء الأشياء التافهة من أدوات الزينة على الأشياء النافعة من ضروريات الحياة فتراه ينفق ماله من المال في سبيل أن يملأ جسمه بالوشم والنقش وهو مع ذلك لا يبالي أن يظهر للناس عارياً بادي السوء وترى من متوحشي السودان من يفضل شراء الخرز على شراء الملابس ويفضل شراء الأحمر من كل شيء مهما كان رديئاً على غير الأحمر مهما كان جيداً

هذه مكانة الزينة يامولاي عند المتوحشين أما عند أهل الحضرة من الشرقيين والغربيين فمن العسير على أن أصفها لك ولكني أكتفي بأن أقول لهم قد شغفوا بالزينة وقدموها على المنفعة في كل شيء

حتى في العلم والمعرفة فترى أحدهم يقتني من الذخائر والنقائس ما لا يحتاج إليه وربما لم يجد في بيته فراشاً مهاداً ينام عليه

أما في الأزياء فحسبك أن الأمر أصبح مختلطاً فقال الرجل إلى تقليد المرأة في ثيابها وترجيل شعرها وتصفيف طرتها

وترى المرأة قد بالغت في الزينة حتى سئمتها وربما مالت إلى تقليد الرجل في بساطة الملابس والتخفيف من الزينة

وجملة القول أنك قليلا ما تجد الفرق بين الرجل والمرأة في حب الزينة والميل اليها .

[يتقدم إليه شيطان آخر كثير الحركة . . .]

الشيطان : أما أنا فشيطان المرقص وعمل سهل جداً وهو ان اظهر ميل الرجل إلى المرأة والمرأة إلى الرجل بشكل فظيع فيجتمع جمهور المسلمين في مكان فسيح الأرجاء ويجلس إليهم فتيات يغنين ويهزرن بألفاظ لا تفهم غير أنها مشيرة للعواطف ، ثم يظهر فتيات على ما يسمونه المرقص فيتولين تلوى الحيات ويظهرن ما أمر الله أن يستر من بطونهن وظهورهن .

وعفوا ياسيدي الرئيس لا تسأل عن تلك النخوة العربية وعن تلك الحمية الديلية فكل ذلك قد ذهب به الترف والقوم يفعلون ذلك على أعين رجال الدين وعلى مرأى منهم ومسمع .

[يتقدم إليه شيطان آخر]

الشيطان : أما أنا فشيطان القرآن .

ابليس : وكيف بلغت بك الجرأة إلى هذا الحد وهل يصح أن يلعب الشياطين بالقرآن ؟

الشيطان : المسألة بسيطة جداً يا مولاي فقد حببت إلى الناس أن يتغنوا بالقرآن بالمجالس كما يتغنون بالزجل والأدوار البلدية فأدخلت في القرآن الحركة والدوكة والسيكة وغيرها من طرق الغناء والقوم يسمعون ذلك وهم يلغون ويلخطون بين مدخن ومخشش وكل ذلك باسم الدين وبأعين العلماء .

[يتقدم إليه شيطان آخر كثير النزق والطيش]

الشيطان : أما يا مولاي الرئيس شيطان الانتحار

ابليس : وما هذا الانتحار ؟

الشيطان : هو شيء بسيط ينحصر في أن الشرقي المسلم يقلد الغربي في قتل نفسه فلا يكتفي بقتل غيره بل إذا ضاقت نفسه بحادثة كبيرة أو صغيرة ولملة

يسيرة أو عسيرة يتجرع كأس الموت مستحلياً له على مرارته مستلذاً له على بشاعته فيخسر دينه ونفسه وتخسر الأمة التي أنشأته ليكون فيها عاملاً مفيداً بل يخسر النوع الانساني الذي يستفيد منه فائدة كثيرة مهما كان حقيراً صغيراً ومعنى هذا ان داء الانتحار الذي فشا الآن في الشرقيين هو آفة على فساد الاخلاق وصغر الهمة والخطا النفوس .

فان امرأ يقتل نفسه اضجر قد يصيبه من أشياء وهمية خليك أن لا يطمع في جلائل الأمور ولا يسمو إلى عظامم الأعمال .

ابليس : حقاً إنك قد أبليت بلاء حسناً وجاهدت جهاداً شديداً في ادخال هذه الرذيلة على نفوس المسلمين الذين قد ملئ دينهم بالأمل وحب الحياة وتشجيع القتل والعقوبة عليه بل ان الأمة العربية من أوسع الأمم آمالاً وأكبرها أماناً فإن المؤرخ العالم مهما بحث وأكثر التنقيب يستحيل عليه أن يأتي بحادثة تدل على أن أعرابياً قد انتحر وحسبك بهذا دليلاً على قوة هذه الأمة .

الشیطان : كل هذا حق ولكن حادثة واحدة في التاريخ الخرافي للعرب تدل على الانتحار وهي التي تعينني أحياناً على تضليل المنتحرين .

ابليس : وما هي هذه الحادثة ؟

الشیطان : هي حادثة الزباء ملسكة تدمر التي رأت عدوها مقبلاً عليها يريد قتلها وقد ظفر بها وأخذ عليها طرق الحياة فمست فصاً من السم كان في اصبعها وقالت ذلك المثل المشهور بيدي لا بيد عمرو .

ابليس : أحسنت كل الاحسان فشكراً لك

[يتقدم إليه شیطان آخر]

الشیطان : أنا يامولای الرئيس شیطان الخمر فقد هجت في نفوس الناس ميلهم إلى نسيان أنفسهم للأسترراحة من العناء والشقاء فكان من ذلك ومن خمولهم الدائم ميل إلى الخمر والحشيش وأنواع المنزول .

إبليس : [ضاحكا] وما هذا المنزل ؟

الشیطان : هو أنواع من العقاقير يخلطونها وفيها المغيبات فيبتاعونها مساء كل يوم ويشربون بعدها قرباً من القهوة حتى إذا صهرت في بطونهم صعدت إلى رؤوسهم فغابوا عن أنفسهم وكان منهم المحدثون بالغيب والذين يتلقون الوحي من السماء ويزعمون أنهم أقتاب الوجود .

إبليس : [يشير إلى آخر] وأنت ماذا فعلت ؟

الشیطان : أنا يا مولاي شیطان الميسر فقد أعدت الامم المتحضرة إلى عهد الامم الجاهلية الهمجية .

فبدل ان كان أولئك يقاسرون في جمل أو شاة أصبح هؤلاء يقامرون في القناطير المقنطرة من الذهب والفضة ،

ولو أن أموالهم تخرج من أيديهم إلى أيدي اخوانهم لكان الأمر ولما ذهبت الروة العامة ولكنها مع السرور تذهب إلى الأجانب غنيمة باردة .

إبليس : [يشير إلى آخر] وأنت ماذا فعلت ؟

الشیطان : أما أنا فشیطان الزنا ولم أصنع شيئاً إلا أني جعلت الزنا رسمياً يجرى بأمر من الحكومة الاسلامية التي يأمرها الله بجلد الزاني والزانية أورجهما .

إبليس : [يشير إلى آخر] وأنت ماذا فعلت ؟

الشیطان : أنا يا مولاي شیطان الصحف فقد حببت إلى القوم تقليد الفرنج في نشر الصحف التي يسمونها الجرائد والمجلات ولكنني عدلت بهم عن الطريق الواضحة التي هي خدمة الأمة والدفاع عنها إلى تلك الطريقة الجميلة التي هي التجارة بالآراء السياسية والدين وبالعبادات وبالقذف بالأعراض والأشخاص حتى أصبحت هذه الصناعة مصدر البلاء المطلق للأمة كافة والناس يرقصون إعجاباً بها وإنما هي رقصة المذبوح يستلذ ألم السكين في أول الأمر وليعلمن نباه بعد حين ولا تسلي يا مولاي الرئيس عن تلك الصور الخليعة المشيرة

للعواطف السيئة التي تلشرها تلك الصحف وتحلى بها صفحاتها فقد أصبحت مفسدة للأخلاق وأى مفسدة وحتى أصبح لا يخلو منزل منها ، كل ذلك على مرأى من رجال الدين هذا بعض عمل فى افساد النفوس والأخلاق وأنت ترى أنه ينحصر فى تحويل الحضارة إلى وحشية قبيحة وأنتى أرجع بالإنسان الرافى إلى عصر الهمجية .

إبليس : لقد أحسنت تمثيل دورك فأنى عليك وأشكرك شكراً جماً .

[يشير إلى آخر] وأنت ماذا فعلت . . . ؟

الشیطان : أنا يا مولای شیطان الوطنية .

إبليس : وما هذه الوطنية ؟

الشیطان : هى الانخداع بالآسماء والغسل فى تعظيمها والاندفاع فى ذلك إلى حسد يشبه الجنون واعتقاد أن الصياح بالحياة والسقوط والرفعة والانحطاط يكفى للرقى الحقيقى فى الحياة العامة والخاصة .

وكل ذلك قد أوقعته فى نفس الكثير من الشبان فتراهم قد اجتمعوا لأى حادث يجهرون ويرفعون أصواتهم بالنداء لفلان أو عليه فيضطر أولو الأمر إلى ارجاعهم عن هذا الغى وهدايتهم إلى الصواب .

وقد خيلت اليهم أن رقى البلد رهين بهذا الطيش المزعج فـعـكفوا عليه واشتدوا فيه ووصموا أنفسهم بأمر يفرون منها ويخافونها .

وقد شغل الشبان بهذا الطيش عن الأعمال الأساسية التى يقوم عليها الرقى الصحيح .

فلا علم ولا تعلم ولا زراعة ولا تجارة ولا صناعة ولا جد فى شىء من الاشياء إلا ما تقدم اليك الشياطين بوصفه .

ولولا أنى ألهيتهم عن الاعمال الجدية النافعة ما وجد إخوانى سبيلاً إلى زجهم فى تلك المهلكات الكثيرة .

فان أمر أيعتقد أنه إنما خلق للصياح والضجيج يمكن بسهولة صرفه إلى اللهو والفجور وحشو عقله الفارغ بالاهام والباطيل وعلى هذا تستطيع أن تنظر إلى الكثير منهم فلا ترى الا قوماً من أولى البطالة قد لجؤوا في طنين الذباب ونقيق الضفادع من غير ما فائدة ولا نفع مأمول .

إبليس : إنك لماهر مجيد خليق بالمسكافأة والجزاء .

[يتقدم اليه شيطان آخر]

الشيطان : أنا شيطان الحرية الدينية .

إبليس : وما هي هذه الحرية ؟

الشيطان : ألد الفرنج وتعلم بينهم المسلمون فأرادوا أن يلحدوا وعللوا أنفسهم بأنهم

أحرار في الدين ، وقد حببت اليهم هذه الخدعة وزعمت لهم أن الدين يجب أن يتشكل بأشكال الانسان ، لا أن الانسان يجب أن يتشكل بأشكال الدين ، فأصبحت الامة قسمين قسم الشبان الملحدين وقسم الشيوخ الجامدين وبين أولئك وهؤلاء نفر من المتافقين المذبذبين الذين لا ينفعون ولا يشفعون .

أما المصلحون فأنا لهم بالمرصاد وقد عذبت منهم نفراً كثيراً فأريتهم من العذاب والهون مالا أستطيع أن أصفه لك فأن آثار الضجر ظهرت عليك .

إبليس : حسناً لقد أجدت تمثيل دورك فشكراً لك .

[يتقدم اليه شيطان آخر] .

الشيطان : أما أنا يا مولاي فشيطان الشهادات وعملي ينحصر شرحه في عبارة موجزة

ولسكنها مضحكة .

فقد جعلت العلم عند الناس أشبه شيء بما تخرجه الحقول من الحنطة والشعير أي أن له مكاييل يكال بها فتعرف مقاديره ، ولكل مقدار منه

قيمة خاصة ، وهذه المكاييل يسمونها الشهادات . فيدرس الطفل في المدرسة الاولى حتى إذا أتم الدرس فيها وأخذ منها صاعاً أو صاعين من العلم اشترت الحكومة منه هذا المقدار بمقادير معينة من المال وكذلك الامر في الشهادة الثانية والعالمية

ويظهر أن الناس قد أعجبوا بهذا النوع من التجارة العلمية ففضلوه على الزراعة والصناعة أيضاً وقد أثمر هذا الغرس الذي غرسه أثماراً مختلفة .

الاولى — أن العلم لم يعد مصلحاً للعقول مريباً للكفآت لان الناس لم يطلبوه لذاته وإنما طلبوه لثمنه من الاعمال الادارية والعسكرية .

الثانية — أنه أصبح قليلاً جداً في نفوس الناس لأنهم لا يأخذون منه الا المقدار الذي ينيلهم الشهادة ، ولو أنهم أرادوا أن يزدادوا علماً وجدوا بين أيديهم ما يسمح لهم بذلك ، لأن الحكومة لم تدع في مدارسها من العلم الا ما يخرج لها آلات عاملة في المصالح المختلفة

وزد على ذلك أن حرص الناس على هذه الشهادات لم يكتف بصرفهم عن الأعمال النافعة فقط ، بل اشتد في أنفسهم حتى أصبح احدهم ان ظفر بالشهادة عظم في نفسه حتى ادعى لها كل نخر والصقها بكل عز ، وأن فشل في نيل الشهادة أو في نيل الوظيفة بلغ اليأس من نفسه واستحكم القنوط في قلبه ، وكان أحسن قربان ما يقدمه صديقي شيطان الانتحار إلى دار الجحيم .

ابليس : لقد أحسنت الحيلة واتقنت العمل وأحرزت النجاح

الشيطان : فلم تبق الا المكافأة

[يتقدم شيطان آخر]

ابليس : ماذا فعلت ؟

الشيطان : أنا شيطان القتل وعملي بسيط جداً وهو أن أسعي في أن يذبح الانسان

كما يذبح الحيوان وربما قتل الانسان أشنع قتلة في دجاجة او صاع من شعير

[يتقدم شيطان آخر]

ابليس : وماذا فعلت ؟

الشيطان : أنا يا مولاي شيطان البيع وعملى ينحصر فى الخش .

شيطان آخر . وأنا شيطان إحراق المزروعات وعملى ينحصر فى تحويل الجنات الناضرة إلى رماد تعيث به الريح

آخر : وأنا شيطان تسميم الحيوانات وعملى ينحصر فى أن يكون نصيب الحيوان من القتل ظلماً كنصيب الانسان على الاقل

آخر : وأنا شيطان مجلس الامن وهيئة الامم المتحدة

إبليس : وما مجلس الامن هذا وما هيئة الامم المتحدة هذه ؟

فإنى أرى انكم قد اصطلحتم على أشياء لم يكن لى بها عهد

الشيطان : هما هيئتان دوليتان ظاهرهما الرحمة وباطنهما العذاب

إبليس : وأنت ماذا فعلت ؟

الشيطان : أنا يا مولاي الرئيس شيطان الجمعيات الخيرية

إبليس : وما عملك فى هذه الجمعيات . . ؟

باسم هذه الجمعيات وباسم هذه الحفلات التى تقام باسم البر والاحسان هتك القوم ستار الحياء وحطموا تقاليد الدين ورضوا عن طيب خاطر أن تخرج نساؤهم وفتياتهم الى الشارع لتروج لتلك الجمعيات كما يقولون وباسم هذه النهضة المزيفة التى يزعمونها . أصبح كل شىء فى نظر القوم جائز ومباح وأصبح حديث الدين والتقاليد حديث خرافة وحديث قديم مبتذل .

وقد حرم الدين شرب الخمر وها هو الخمر يباع ويشرب علنا باسم البر

والاحسان ، وها هو الميسر وقد حرمه الدين أيضاً بإباح بأمر من الحكومة
الاسلامية وعلى رأى ومسمع من رجال الدين

إبليس : لقد أجدت تمثيل دورك فشكراً لك وستنال مكافأتك وإنك بها الخليق

آخر : أنا شيطان الاندية

آخر : أنا شيطان التبشير

آخر : أنا شيطان التمثيل

آخر : أنا شيطان الربا

[وهنا يضج إبليس ويثب من مكانه ويصيح الشياطين]

أنا شيطان ... أنا شيطان ... أنا شيطان ... ثم تختلط أصواتهم

فيصيح فيهم إبليس ...]

إبليس : ويحكم كفوا عن اللغظ وسوف استمع اليكم في مؤتمرهم القادم

[هنا تسمع الاصوات عالية من جهنم والزبانية يصيحون ...]

الزبانية : هذا ما قدمت أيديكم فذوقوا ما كنتم تعملون

إبليس : [لأعوانه] انى أشكركم أيها الأعوان المخلصون على ما ابدىتموه من العناية

فى افساد الشعوب الاسلامية وأرجو أن تتخذوا هذه الخطوة سبيلاً لكم إلى

يوم الدين .

[ثم يضج الشياطين ويشتبكون ويرقصون والرئيس فى وسطهم وهم

ينشدون ...]

عاد سلطان الجحيم بعد ما كان اندثر

وانطوى ظل النعيم بعد ما كان انتشر

رب شيطان رجيم فاز بالنصر المبين
وإلى سوء العذاب ساق أبناء البشر

يا بني الإنسان مهلا أنه حكم القضاء
لا تدموا الشر جهلا فكذلك الله شاء
جعل القسمة عدلا بين شك ويقين
ففرق في الثواب وفرق في صقر

لا تسبونا ولا تكثروا فينا الجسدال
واطيعونا بلا ايما قيل وقال
كل حق فإلى باطل من بعد حين
ثم من غير ارباب نحن اصحاب الظفر



استدراك

حدث أثناء الطبع بعض غلطات بسيطة ان نشير إليها كلها اكتفاء
بفطنة القارئ اللبيب وسنكتفي بتصحيح ما يلي :

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٢	١٨	مزة	مرة
١٥	١٦	المعمورة لا	المعمورة التي لا
٢٥	١٤	عزا	غزا
٢٧	١٣	دهمتنا النازلة	دهمتنا النازلة وأصابتنا
		لا أجـد	الكارثة التي لا مرد لها
٢٨	٢	وأن	اوان
٢٨	١٦	عاد	عادلة
٢٠	٢١	وعيشاً	عيشاً
٣٠	٢١	يترك	ويترك
٣٠	٢٢	رفيعة بسور متين تلك	رفيعة تلك
٣٠	٢٣	وبين الناس	وبين الناس بسور متين
٣١	٢٤	تلقى	بتلقى
٣٢	١٦	ففتن	ففتنى
٣٢	٢٥	انت	أتيت
٣٦	١٧	قد	وقد
٣٦	٢٣	أرى	واری
٦٥	٨	القيـل	الفيل
٨٥	١١	الأخصـين	الأخصمين